الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران
كلية العلوم الإجتماعية
قسم الفلسفة
ماجستير: الفلسفات الأنغلوساكسونية

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة

والموسومة ب:

مفهوم الإنسانية والصدق

عند فرديناند شيلر و وليم جيمس

إعداد الطالبة:
غربي سمية

إشراف الأستاذ. د:
بوكرلدة زواوي

لجنة المناقشة:

أ. د(ة). بوسيف ليلى رئيسا

أ.د بوكرلدة زواوي مشرفا ومقررا

أ.د سواريت بن عمر مناقشا

أ.د برياح مختار مناقشا

السنة الجامعية

2015/ 2014

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من أنارت دربي بالرجاء، ودفعت بي إلى طريق العلم، و وفرت لي سبيل النجاح، أمي الغالية و جميع أفراد عائلتي، أطال الله في عمرهم و حفظهم.

إلى أجمل ذكرى في حياتي روح أبي الغالي "رحمه الله"

إلى كل روح تعشق الحقيقة

إلى كل فكر يسبح في فضاء البحث العلمي

أهدي هذا العمل المتواضع

شكر و تقدير

باديء ذي بدء، أجد أنه من الواجب علي، التوجه بالشكر الجزيل و العرفان الخالص، إلى أستاذي الفاضل الدكتور "بوكرلدة" أولاً، لقبوله الإشراف على مشروع البحث هذا بصدر رحب، و على حرصه الشديد في متابعته للعمل، من مراحله الأولى حتى نهايته، و الذي لم يبخل علي بنصائحه و إرشاداته، فقد كان نعم الموجه و المرشد بنبل أخلاقه.

و إنه لمن العز و الشرف أن نتقدم بخالص عبارات الشكر و التقدير إلى جميع أساتذتنا الأفاضل بجامعة وهران و جامعة سيدي بلعباس.

شكري كذلك إلى الأصدقاء و الزملاء، الذين كان سؤالهم المستمر عن مصير البحث دافعًا و حافزًا قويًا لي على إنجازه

فإليهم جميعًا أتوجه بعميق شكري و امتناني

مقدمـــة:

تميزت الفلسفة الغربية بعدة مميزات، و لعل أبرزها تلك المدارس المتنوعة التي تناولت موضوعات شتى، واتخذت أفكارا خاصة بها، و من بين هذه الفلسفات نجد فلسفة البرجماتية التي نمت في أمريكا ،وظهرت معالمها في الفكر المعاصر عموما.حيث ازدهرت هذه الفلسفة بشكل واسع في دائرة المعارف،وحاولت أن تنسج بفكرها كل العالم ، وأن توسع من حقل المعرفة عن طريق خلق مفاهيم جديدة. وكذلك الفكر بشتى ضروبه ، كما اختلفت هذه الفلسفة عن سابقاتها من الفلسفات التي حملت سمة من الخصائص الفكرية والفلسفية انتهت إلى دراسات تحليلية وجدت بصماتها في العالم ككل، وما ميز هذه الفلسفة هو أنها أرجعت كل أفكارها واهتماماتها إلى الإنسان ووجوده وأعماله وقيمه، وإراداته ومنافعه ، فكان الاهتمام بالإنسان الفرد أحد خصائص ومميزات القرن العشرين .

واكب هذا الفكر البرجماتي متطلبات العصر،وكذلك تحولات أنتجتها مشاكل الإنسان وانشغالاته في الحياة ، وبلور هذا الفكر خصائصه من أجل أن يحيا الإنسان حياة سعيدة، قائمة على التطور والتغيير نحو الأفضل، والابتعاد عن كل تأمل، حين يجهد الإنسان عقله، ويتعب بذلك جميع مناحيه السيكولوجية، ولكن فلسفة البرجماتية هاته لا تختلف عن باقي الفلسفات، وذلك في أنها استمدت أصالتها وجذورها من فلسفات سبقتها في التفكير، في وضعها للأسس والقواعد الأخلاقية التي نحاول أن نلمسها في محور موضوعنا.

إن التطور الذي تنادي به البرجماتية كان تطورا تاريخيا لحضارة الإنسان ، والتأكيد على النشاط الإنساني من أجل بناء العقل، وبناء الفعل ، لا يتجلى عند هذه الفلسفة وحدها ، ولهذا فقد حاولنا أن نلمس جذور الفكر البرجماتي الأمريكي، إنطلاقا من التفكير اليوناني القديم الذي ميزه سقراط وأفلاطون وأرسطو ونحوه من المدارس

كالمدرسة الرواقية والمدرسة الأبيقورية والعصر الوسيط الذي تميز بجذيراته الدينية ، وهاته الأخيرة التي أثرت على بعض فلاسفة البرجماتية، ولعل أبرزهم "وليام جيمس" .

وما ترك أثرا بالغا ، وتأثيرا قويا على العقلية البرجماتية هو الدور الفعال للفكر الإنجليزي ذا الطابع التجريبي، وعلى هذا الأساس نجد فلاسفة البرجماتية يأكدون على التجربة والواقع، وكذا تأثير المدرسة النفعية التي تعد امتدادا للمدرسة الإنجليزية.

جاءت هذه الفلسفة البرجماتية كرد فعل على بعض النزعات كالنزعة المثالية والنزعة العقلية ، والنزعة الميتافيزيقية التقليدية، وكان الغرض من هذا التصدي والهجوم على هذه النزعات هو أن تقر هذه الفلسفة بالنسبية، وتنبذ كل ما يستدعي إلى المطلق ، وأن تقيم للنسبية والتغيير والارتقاء مكانا مرموقا وطابعا متعاليا، والجنوح نحو مستقبل أفضل ،والانشغال بالعمل والنجاح والقيمة تعد معايير للازدهار والتقدم، كما تعد كرد فعل أخلاقي وعقلي وترسيخ للنظام المعرفي، فالأفكار البرجماتية درست على يد مفكرين، أثروا بفكرهم وتأثروا كذلك بأفكار وجهود سابقيهم، وظهر ذلك التأثير الفكري بين أمريكا وانجلترا ، وقد مثل هذين البلدين 'وليام جيمس' بأمريكا و 'فرديناند شيلر' ببريطانيا، فلقد انصبت الجهود الفكرية لهذين الفيلسوفين في محاولتهما نقل الفكر البرجماتي إلى العالم وترسيخه، فكان نصيب 'وليام جيمس' و 'فرديناند شيلر' من الدراسة والبحث والترجمة والتأثير على العالم الأمريكي خاصة.

_ جاء بحثنا هذا المتواضع بعنوان " مفهوم الإنسانية والصدق عند فرديناند شيلر و وليام جيمس" ، فلقد حاولنا من خلال دراستنا هذا الموضوع أن نلم بأهم المعلومات التي تدور ضمن سياق الموضوع، ودائما في إطار الحقل المعرفي لموقف البرجماتية من الأخلاق، وذلك بالتتبع والتحليل للجوانب والأفكار المضيئة للموقف

أو التصور الذي اتخذه الفيلسوفان 'وليام جيمس' و 'فرديناند شيلر' تجاه مفهوم الإنسانية ومفهوم الصدق والحقيقة.

أسباب إختيار البحث:

إن الأسباب التي دفعتنا إلى إختيار موضوع الإنسانية و الصدق عند 'فرديناند شيلر' و 'وليم جيمس' كثيرة، و قبل الإهتداء إلى هذين الشخصيتين نجد أن السبب الهادف يكمن في محاولتنا معرفة و تبيين أثر البرجماتية في الأخلاق و قيمتها الإنسانية على جميع المستويات، و لإلتماس ذلك الأثر لابد من التعرف على أفكار ممثلي البرجماتية في أمريكا و إنجلترا.

و السبب الثاني الذي لفت إنتباهنا هو أن وجهة نظر الفلاسفة البرجماتيين منصبة حول واقع و موقع الإنسان، حيث أن أخلاقه تختلف و تتشابه، و كل له أفكاره و وجوده المتميز، و ما جذبنا خاصة هو ذلك الحديث و المشاركة الفكرية بين المفكرين 'شيلر' و 'جيمس'، فكان كل واحد يدلي بأسلوبه في حقبة زمنية متقاربة، حتى أن الفيلسوف 'شيلر' جعل من موضوع الإنسانية محور تفكيره و إهتمامه الشديد و سيطرة هذا الجانب الأخلاقي على كل الأفكار الفلسفية و هذا الإهتمام الزائد هو الذي دفعنا إلى معرفة إنسانية الإنسان من خلال قراءة آراء هذان الفيلسوفان.

أما السبب الأخير هو محاولتنا كشف الآراء السلبية و الإيجابية للبرجماتية، خصوصًا و أن هذا الفكر قد سيطر على العالم بأفكاره، و خير دليل على ذلك هو حصر الموقف البرجماتي للإنسانية و الحقيقة في نطاق ضيق، و في حدود المنافع و المصالح، عكس ما ينادي به ديننا الحنيف، لذا كان لزامًا علينا أن نبحث في هذا النوع من القضايا لأنها تتناسب و تواكب دراسات العصر.

الدراسات السابقة:

موضوع الإنسانية و الصدق عند 'فرديناند شيلر' و 'وليم جيمس' لقي دراسات تم تناولها من قبل باحثين إهتموا هم كذلك بقضايا و مشكلات تخص البرجماتية، مستندين في ذلك على روح شخصية 'جيمس'، أما 'شيلر' فلم يحظ بدراسات كثيرة، و ربما يرجع الدليل على عدم تناول فلسفته، حتى أن بعد وفاته لم يلق رواجًا واسعًا في دائرة الأبحاث.

من خلال بحثنا المتواصل عن الدراسات التي خلت موضوعنا وجدنا بعض الأبحاث، فمنها ما إهتمت بموضوع الإنسانية، و هناك أبحاث أخرى إنفردت بموضوع الصدق، و لعل ما ذكر من البحوث و الدراسة حسب معلوماتنا المتواضعة:

أولاً: ورد موضوع يتحدث عن "النزعة الإنسانية في فلسفة وليم جيمس" من طرف الطالبة معزي وردة، إشراف الأستاذة الدكتورة فريدة غيوة بجامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر، فبراير 2009، و ورد موضوع آخر سبق التطرق إليه يتقارب مع موضوع بحثنا بعنوان "مفهوم الحقيقة و الإعتقاد عند وليم جيمس" من طرف الطالب زروقي تامر، إشراف الأستاذ الدكتور البخاري حمانة، كلية العلوم الإجتماعية بجامعة وهران، الجزائر، 2010-2011.

تحديد الإشكالية:

إن ما يثير تساؤلاتنا هو ذلك التميز الذي أملته النزعة الإنسانية من ملامح أخلاقية ، وصفات تختلف من حضارة إلى أخرى، أما الصدق فلقد نشأ كمبحث من مباحث المعرفة ، و كمشكلة من المشاكل الفلسفية والتي حاول فلاسفتها أن يجدوا حلا لكل تساؤل ، ومن لب هذه الدراسات ركزنا على موقفي كل من 'وليم جيمس' و 'شيلر'، وما دمنا نحاول أن نلم بأهم مواقفهما، لابد وأن نقف ونركز عند بعض النقاط الأساسية التي تعد أساس بحثنا، إذ كيف تصور 'وليام جيمس' و'فرديناند شيلر' الإنسانية والصدق والحقيقة الذين يعتبران مصدران من مصادر الأخلاق والمعرفة عامة ، وكسمات تعدها البرجماتية من خصائصها؟ هل اتفق هذان الفيلسوفام أم اختلافا في تفسيراتهما؟.

تبين لنا من خلال محاولتنا لدراسة موضوع الإنسانية و الصدق لدى 'وليم جيمس' و 'فرديناند شيلر'، هي أن نقف عند أهم النقاط و الأفكار التي يركز عليها هذان الفيلسوفان بشكل مفصل، لذا كان لابد من وضع أو بناء خطة محكمة كي تتضح لنا الأفكار الأساسية و ببساطة حتى نتمكن من تحديد آراء البرجماتيين و بذلك تتكون الخطة من ثلاثة فصول، تناولنا في الفصل الأول أثر الفلسفة الإنجليزية في الفكر البرجماتي و ما ترجع إليه هذه الفلسفة إلى أصول أخلاقية بلورت فكرها، و أثر على مفكريها 'وليم جيمس' و 'فرديناند شيلر' و من ثم اتضح لنا المسار في تناول الفصل الثاني فكان عنوانه: "مفهوم النزعة الإنسانية عند فرديناند شيلر و وليم جيمس" فيما يخص تأسيس 'شيلر' لفكرة الإنسانية و تأثيراتها على الواقع البرجماتي و كذا نظرة 'وليم جيمس' للإنسانية و موقفه الأخلاقي منها، أما الفصل الثالث و الأخير فقد خصصناه لمفهوم الصدق عند 'وليم جيمس' و حاولنا أن نعرف مدى ربط 'جيمس' الصدق بالمنفعة وكذلك وجهة نظر 'شيلر' للصدق، و من ثم تبين الدور و القيمة للحقيقة البرجماتية و موقف الإسلام منها و في الأخير ختمنا بحثنا بخاتمة.

عند إنجاز هذا البحث المتواضع إعتمدنا على المنهج الذي يلائم موضوعنا ألا و هو "المنهج التحليلي"، فهو يتناسب في رأينا مع طبيعة الموضوع الذي تطلب دراسة دقيقة و محكمة، و ذلك من حيث تحليل الأفكار و توضيحها، و إلقاء الضوء على الجوانب المشرقة فيها، و التي تخص الفيلسوفان 'شيلر' و 'جيمس'، في التركيز على آراءهما و قبل التعرف عليهما بدأنا بتحليل أثر الفلسفة الإنجليزية في الفكر البرجماتي موضحين في ذلك الجذور الأخلاقية للبرجماتية، و الأبعاد الإنسانية لها، و التمسنا أثر الحقيقة عند الفيلسوفين السابقين الذين أكدا على دور المنفعة، ثم تتبعنا بالتحليل النقاط الأساسية التي تخص موضوع بحثنا ألا و هو الدور الفعال للفيلسوفان، و هو تقديم واضح و صريح في كامل صوره، و لا يكاد يخلو مثل هذا الجانب من الإنسانية و الصدق إلا كان موضوع بحث و نقد شديد و تعقيب عن فكرهما المدمج ضمن فلسفة الحياة.

صعوبات البحث:

من أهم العراقيل التي واجهناها في إعداد هذا البحث هي كالتالي:

1- لم نعثر إلا على عدد قليل من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع بحثنا أو تقاربت معه، و هو الموضوع الذي يتحدث عن مفهوم الإنسانية و مفهوم الصدق عند 'وليم جيمس' و 'شيلر'.

2- لم تتوفر لنا جميع المصادر لهذان الفيلسوفان 'وليم جيمس' و لاسيما الفيلسوف 'فرديناند شيلر' في مكتباتنا العربية.

أثرت العديد من الفلسفات و منها الفلسفة الإنجليزية على الفكر البرجماتي فلقد جاء هذا الفكر كنتيجة أو من حصيلة التراكمات الفكرية، و إنتهت أفكاره إلى التخلص من قيود العصر الوسيط و بما تميز به من جمود للعقل، و لكن تاريخ الفلسفة شاهد على إحياء مذاهب فلسفية عرفت أنصارها و مؤيديها كيف يعيدون إليها الحياة فقد عرفت الفلسفة المسيحية و غيرها من الفلسفات طريقًا إلى البروز، و أصبحت تحمل أفكار و ردود فعل تجاه الفكر البرجماتي و موقفًا تجاه المنفعة و تصوراتها الفريدة و المتميزة، فهذه الفلسفة المسيحية و بعض الفلسفات المعاصرة تعتبر أن البرجماتية مجرد حركة فكرية تدعي التقدم فهي ليست فلسفة حقيقية و نهايتها كانت مع بداية القرن العشرين فهي زائلة متهافتة و منتهية، و لكن وجدت فلسفات حافظت في حقل نشاطها الفلسفي على بقاء التراث البرجماتي إذ نجد مفكرين أمثال جون سميث و مورتون وايت قدموا أحسن تصور مبدئي للبرجماتية الأمريكية بتحقيق آثار واسعة في الفحص الذي غالبًا ما تجاهله فلاسفة التحليل و أن البرجماتية تؤمن للفرد سعادته و تبعث فيه الإرادة و ترسخها من أجل بناء التقدم.

الفصل الأول

أثـر الفلسفة الإنجليزية في الفكر البرجماتي الأمريكي

- **المبحث الأول: مفهوم البرجماتية، أصولها و أهم أفكارها**
  - **المطلب الأول:** مفهوم البرجماتية
  - **المطلب الثاني:** الأصول الأخلاقية للبرجماتية
  - **المطلب الثالث:** أهم أفكار البرجماتية
- **المبحث الثاني: الجذور الإنجليزية للنزعة التجريبية عند وليم جيمس**
  - **المطلب الأول:** أهمية وليم جيمس في نشر البرجماتية
  - **المطلب الثاني:** مفهوم التجربة عند وليم جيمس و أثرها الفلسفي
- **المبحث الثالث: الحضور الإنجليزي في الفلسفة البرجماتية**
  - **المطلب الأول:** المنطلقات الحقيقية للأثر الإنجليزي
  - **المطلب الثاني:** رواد النزعة الإنسانية

المبحث الأول: معنى البرجماتية، معناها، أصولها و أهم أفكارها

نشطت الفلسفة البرجماتية في الفكر الأمريكي، و ركزت على النواحي العلمية و البحث في عوامل النجاح، و اتخذت منهجًا لها في حل مشاكل الحياة، و كان إهتمام **وليم جيمس** لهذه الفلسفة كبيراً جدًا، و يتجلى ذلك في أفكاره و أعماله، و لكن لم يكن جيمس و غيره من البراجماتيين وحدهم أنتجوا لهذه الفلسفة، بل كان للبرجماتية منطلقات أساسية و جذور خاصة بها أي أنها استمدت أفكارها من بعض الأفكار القديمة، و التي لعبت دوراً بارزًا في ظهور أفكارها و انتشارها.

المطلب الأول: مفهوم البرجماتية

تحديد معنى مصطلح البرجماتية: إنتشر مصطلح البرجماتية في العالم و أصبح كثير التداول، حيث تبنى أفكاره كثير من المثقفين، و إستخدمت معاني هذا المصطلح في معظم شؤون الحياة، و لكن ما يثير تساؤلاتنا هو فيما يخص تحديد معنى هذه الكلمة، و ما تتميز به من أفكار، فإذا رجعنا إلى بعض الموسوعات و المعاجم نجد أن البرجماتية تتخذ معنى محدد، فهي مشتقة من اللفظ اليوناني (Pragma) و معناها العمل الذي يكون ناجح كغاية يبلغها العقل الإنساني[1] و مادام الإنسان مدرك فكرة العمل كمبدأ مطلق يوجهه وفق واقعه فلابد أن يبتعد عن كل تأمل نظري[2] كما أن البرجماتية تتخذ من العمل روح النجاح و ترمي إلى المنفعة الهادفة[3] و يبدو أن **موريس بلوندل** هو الذي أول من استعمل مصطلح البرجماتية، أما الاعتقاد البرجماتي فلقد استخدمه الفيلسوف الألماني **إيمانويل كانط*** (1724م-1804م) و عني به التسليم بقضية اضطراراً من أجل الفعل مثل اضطرار الطبيب لتشخيص الداء[4].

و لكننا إذا تعرفنا على أفكار معظم الفلاسفة البرجماتيين أمثال الفيلسوف الأمريكي **وليم جيمس** لنجد أنهم لا يعترفون بالماضي و إنما يؤمنون فقط بما هو حاضر لمعرفة التنبؤ بالمستقبل، كما اختلف الفلاسفة البرجماتيين

---

1)- جميل، صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنجليزية و اللاتينية، ج1، دار الكتاب اللبناني للنشر، بيروت، لبنان، د(ط)، 1982، ص 203

2)- عبد المنعم، الحنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، ط3، 2000، ص 150

3)- إبراهيم، مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، د(ط)، 1983، ص 32

***)- إيمانويل ،كانط، فيلسوف ألماني جعل موضوع الفلسفة النظر في إمكان المعرفة، مؤسس الفلسفة النقدية من كتبه "نقد العقل الخالص"**

4)- مراد، وهبه، المعجم الفلسفي، معجم المصطلحات الفلسفية، دار قباء الحديثة للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط5، 2007 ص 144

في بعض النقاط حول الأفكار و المنطلقات و لكنهم يتفقون و يشتركون في أن فلسفتهم هي ما يسمى " الفلسفة البرجماتية "، أما "**موريس بلوندل**" فيختلف عنهم و يسمي مذهبه بـ "فلسفة العمل"[1].

إذ أصبح للبرجماتية اسم آخر هو البرجماتيكية (Pragmaticism) قال به **تشارلز بيرس**[G] و كان يريد بها السلوك العملي و هنا يتضح الاتفاق على مبدأ العمل[2]، و كان ذلك في اواخر القرن التاسع عشر ثم طورها بعد ذلك **وليم جيمس** و تبعه فيها **جون ديوي**[G]، فقد أوضح **جيمس** معالم البرجماتية أكثر و أضفى طابع النفع، حتى أن **جون ديوي** يرى أن إصطلاح البرجماتية كمحاولات لتكوين نظرية منطقية دقيقة للمدركات العقلية و الأحكام و الاستنباطات في شتى صورها عن طريق البحث في الكيفية التي تؤدي بها الفكر وظيفته في التحديد التجريبي للنتائج المستقبلية[3].

---

1)– جميل، صليبا، مرجع سابق، ص 203، 204

***)– تشارلز ساندرس بيرس (charles sanders peirce)(1839، 1914)، المؤسس و الرائد الأمريكي الأول للبرجماتية، له مشاركة في الأبحاث المنطقية و له مقال بعنوان (كيف نجعل أفكارنا واضحة)، كتبها عام 1878، و أبحاث في المنطق " و ما البرجماتية"؟**

2)– عبد المنعم، حنفي، مرجع سابق، ص 151

***)– جون ديوي (John Dewey)(1859، 1952) فيلسوف أمريكي يرى أن البرجماتية تدور على نتيجة الفعل داخله في تكوين صدق القضية و أن القيم مثل أية قضية تجريبية يمكن اختبارها، من مؤلفاته "التربية و الديمقراطية"، (1916)**

3)– اليماني، عبد الكريم علي سعيد، فلسفة التربية، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004، ص94

المطلب الثاني: الأصول الأخلاقية للبرجماتية

تأثر الفكر البرجماتي بعدة فلسفات سابقة و استمد منافعه، و أقام مسائله منها، سواءاً من الناحية الفلسفية أو العلمية على كثير من آراء المفكرين و الفلاسفة السابقين الذين وضعوا بعض الأفكار لم تأتي بها البرجماتية، و انطلاقًا من الفكر اليوناني كمرجع أساسي و قوي لكل عصر على الرغم من تقدم الأزمنة، و الانشغالات بالقضايا الفكرية المعاصرة. كما استمدت البرجماتية فكرها من العصور الوسطى، و الفلسفة الحديثة[1] و من التأثيرات التي عززت مبدا المنفعة في الفلسفة البرجماتية هو تأثير فكر **سقراط** الذي يرى أن الإنسان "يعمل الشيء إذا وجده نافعًا، و يتركه إذا وجده مضرًا"، و هنا يعترف **شارلز بيرس** بفعالية هذه الصورة الفعلية.

كما تعود المبادئ الفلسفية العامة في الأخلاق عند البرجماتية بجذورها إلى فلسفة **الرواقية** و فلسفة **أفلاطون** و **أرسطو**، و الفلسفة العملية عند **السفسطائية**

أولاً اهتمت البرجماتية بمنطق الرواقيين و قد أخذ بهذا **وليم جيمس** في محاولته التوفيق بين المعرفة الحسية و العقلية و التي كان هدف الرواقية كذلك هي أن لا تتعارض هذه المعرفتين و كذا إقامة منطق جديد[2] و تمثلت جذور البرجماتية في أنها استمدت فكرها و فلسفتها من **أفلاطون** و **أرسطو** الذي ركز على التجربة، و في مجال المعرفة أخذت البرجماتية فكرة التنبؤ، و تجلى ذلك عند فكرة **أفلاطون** في تكهنه للمستقبل، و تأكيد البرجماتية على التغير من أجل التقدم و استمرارية الحياة قد رجع ذلك إلى **هير قليطس** أحد الفلاسفة اليونان الذي نادى بالتغيير و لهذا تضع البرجماتية مذهب المنفعة[G] مبدأ أساسيًا تمثل به أفكارها[3] .

---

1)– علي عبد الهادي، المرهج، الفلسفة البرجماتية أصولها، و مبادئها مع دراسة تحليلية في فلسفة مؤسسها تشارلز بيرس، دار الكتب العلمية للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص34

2)– محمد مهران، محمد، مدين، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة و النشر، القاهرة، د(ط)، 2004، ص 46

***)– منفعة، نفعانية utilitarisme–utilitarism: مذهب من يتخذ من المنفعة مبدأ لتفسير سلوك الإنسان في طلبه للمعرفة و السعادة، و هو مذهب أخلاقي يرى أصحابه أن المنفعة هي مقياس التقييم الأخلاقي و أن خيرية الفعل تتمثل في مقدار السعادة الحاصلة به**

3)– ابراهيم محمد عطا، عبد الله بن ابراهيم حافظ، فلسفة المناهج، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د(ط)، 2005، ص 76

كما ظهرت أصالة التفكير البرجماتي مستمدة من السفسطائية و مثلها زعيمها **بروتا غوراس** الذي رأى أن "الإنسان مقياس الأشياء جميعًا" و مقياس الخير و الشر، و الصواب و الخطأ، و قد أخذ بهذا **شيلر** و تبنى هذه الأفكار، فهو يرى أن البرجماتية "تجديد واع للنسبة النقدية التي ذهب إليها **بروتاغوراس** في العصر القديم"، فالسفسطائية هي التي جعلت من الحقائق نسبية متغيرة و كذلك المبادئ و القيم[1] و الأبيقورية هي كذلك واحدة من الفلسفات المؤثرة في الأخلاق البرجماتية و تجلى ذلك في ربط السعادة و اللذة بالمنفعة، و الحصول على السعادة في الحياة و الإستمتاع بها. و أن نجعلها ممتعة، فكانت ترى البرجماتية أن **قول أبيقور** (341-270ق.م) هذا في الحصول على المنفعة يمكن أن يتطور أي أن يتحقق بالعمل الناجح[2]، كما لا يفوتنا في هذا السياق أن التراث البرجماتي قد أخذ من فلسفة العصر الحديث، و استمد فكره من التجريبين الإنجليزيين و أول الماديين نجد **توماس هوبز** (ت 1679) الذي رأى أن ما يحرك الإنسان هو غريزة حب البقاء، و الخير مرجعه الشعور باللذة المرتبطة بالنفعية و الأنانية و هنا يظهر ذلك التأكيد على المصلحة الإنسانية و هذا ما توليه البرجماتية اهتمامًا[3] و لعل أهم دور قام به التجريبيين اتجاه الفلسفة الأخلاقية البرجماتية هو التأكيد على قيمة العمل، و مصدر الأحكام الخلقية هو العاطفة، هذا ما أقر به **ديفيد هيوم**، فأخلاقه ذات صبغة عملية تأثر بها **وليم جيمس** و أخذ بها جميع الفلاسفة البرجماتيين كما استمدوا فكرهم كذلك من تجريبيين آخرين أمثال **جيرمي بنتام** الذي أكد على تحقيق أكبر قدر ممكن من اللذة و المنفعة للشعور بالسعادة و الرضا إنطلاقًا من منهج التجريبي[4].

الذي يقوم على التطور ممثلاً في ذلك القيمة الحقيقية للبرجماتية في أمريكا و حتى في إنجلترا كصورة ثانية أكدت على هذه الفلسفة، و لكن لم يسلم أي فكر من النقد، إذ رأى بعض النقاد أن الفلسفة البرجماتية لم تتبنى

1)– محمد عابد، الجابري، الحضارة المعاصرة من الضرورة إلى الصيرورة، دار الفرقد للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص34

2)– محمد، عبد الحفيظ، الفلسفة و النزعة الإنسانية (الفكر البرجماتي نموذجًا)، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006، ص 45، 46

3)– محمد عابد، الجابري، مرجع سابق، 68

4)– محمد، عبد الحفيظ، مرجع سابق، ص 69

أفكارها من السابق، و إنما اكتفى بعض أصحابها بطبيعة حياتهم في أمريكا و التي سميت و إلى حد الساعة بالبلد الأم للبرجماتية[1].

وردت في كتابات **جيمس** في كتابه "بعض إشكاليات الفلسفة" يقول فيها:

"إن القاعدة البرجماتية " هي ذلك المعنى الخاص لتصور ما، و الذي يمكن أن يوجد بصفة دائمة، فإذا لم يوجد في بعض الإحساسات التي يمكن اختيارها بطريقة مباشرة، فإنه يوجد في بعض الفروق الخاصة التي نجدها في مجرى الخبرة الإنسانية و التي سيكون وجودها وجوداً صادقاً[2]". صحيح أن أهم ما يتميز به العقل البشري هو ذلك الاختلاف و التباين و لا سيما عند الفكر البرجماتي، و لكن الفيلسوف **وليم جيمس** يعترف هو الآخر ببعض النقائص و يحددها في كتابه "البرجماتية" و منها أن لها وظيفتين إحداهما سلبية و المتمثلة في إقصاء مشكلات تثير جدلاً لا ينتهي و لا تحقق فائدة في العلم[3].

و بهذا الصدد عملت الثقة التي وضحتها بعض المناهج كالمنهج البرجماتي في مجال العلم و الخبرة حدث كبير و تطور عميق و شاسع من حيث البحوث و ما يختص به الإنسان، و خاصة ما عمله العلماء لترقية البحث العلمي في الأمور الفيزيائية و الفيسيولوجية التي تعمل على تحويل الأفكار و رقي الإنسان من حيث هو كائن بشري (وجوده، واقعه، نوازعه، ...إلخ)[4].

1)– محمد ،مهران، محمد، مدين، مرجع سابق، ص 45، 46

2)– تشارلز، موريس، رواد الفلسفة البرجماتية، ترجمة: ابراهيم مصطفى ابراهيم، دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع، الإسكندرية، مصر، د(ط)، 2011، ص 55

3)– ابراهيم مصطفى، ابراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، ط1، 2000، ص 72

4)– عبد الرحمن، مرحبا، المسألة الفلسفية، منشورات عويدات للنشر، بيروت، ط1، 1961، ص 52

المطلب الثالث: أهم أفكار البرجماتية

تميزت البرجماتية بكثرة أفكارها و التي أثرت على كثير من المجتمعات و الأفراد، و يرجع ذلك إلى كثرة فلاسفتها، و تعدد مصادرها و أصولها، و أهم نظرياتها: نظرية الصدق باعتبارها أساس تصوراتها، و مفهوم الخبرة البرجماتية[1]

و ليست الخبرة فقط التي اتخذها **جيمس** و **ديوي** هو الموضوع الذي أحدث اهتمامًا، بل حتى نظرية العلامات عند **بيرس** و في مقال أوضح اهتمامًا بعنوان قائمة جديدة للمقولات (1867)، كما تعد صياغة القضية البرجماتية نتاجًا متأخرًا من خلال عمله الطويل في نظرية العلامات التي تخص علامات اللغة[2] هذه القضية من أهم القضايا الأساسية التي يؤيدها **بيرس** مسألة صحة المعرفة و التحقق التجريبي مؤسس على الإيمان[3] فالمقصود من هدف **تشارلز بيرس** و تشكيله للنادي الميتافيزيقي هو محاولته التأكيد على صحة المعاني و اللغة باعتبارها أداة للتواصل الاجتماعي من دون التأملات النظرية.

كما تعتبر نظرية الصدق من أهم و أعقد الموضوعات في الفلسفة، بالإضافة إلى إشاراتها إلى نظريتي التطابق و الاتساق، و فضلاً عن ذلك فإنها و لابد أن تشير إلى أهم النزعات التي واجهتها و هي النزعة المثالية، و الواقعية[4]، و نعتقد أن **جيمس** على حق حينما رأى أن المنهج البرجماتي اتجاه أو نظرية محددة للحقيقة هذا ما أكده **جيمس** في تفصيله للمنهج البرجماتي حينما قال: "أن المنهج البرجماتي هو اتجاه تحويل النظر بعيدًا عن الأشياء الأولية، المبادئ، النواميس، الفئات، الحتميات المسلم بها و توحيد النظر نحو الأشياء، الثمرات، النتائج، الوقائع، الحقائق"[5]

---

1)– ابراهيم مصطفى، ابراهيم، مرجع سابق، ص 79

2)– تشارلز، موريس، مرجع سابق، ص 80

3)– هربرت، شنيدر، تاريخ الفلسفة الأمريكية، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، مكتبة النهضة المصرية للنشر، القاهرة، د(ط)، 1964، ص 338

4)– ابراهيم مصطفى، ابراهيم، مرجع سابق ،ص 80

5)– عيسى ،عبد الله، في نظرية المعرفة، دار الكتب الوطنية للنشر، القاهرة، مصر، د(ط)، 2011، ص 219

لقد نبذت البرجماتية الميتافيزيقا و رأت أن الواقع كفيل لأن يغير الإنسان و أن لا شيء مطلق من حيث تطور الطبيعة الإنسانية، فالبرجماتية تقر بالنسبية في كل شيء، و تستخدم أسلوباً تقنع به أي معترض يعترض طريقها و في نفس الوقت تقر بالعقل و تدمجه في إطار الحياة الإنسانية، و هذا التدرج صادف مؤثرات بيئية، فكان الإدراك بين العلاقات في الأشياء كسبيل للتطور[1]، و من الخصائص أيضًا هو أن الخبرة معيار التحقق و إعتماد المعرفة و الإنسانية عليها[2].

كما اتفق جميع الفلاسفة البرجماتيين على أن الفلسفة البرجماتية منهجًا و ليست مذهبًا فلسفيًا، "فهي اتجاه لحل المناقشات الفلسفية، و المنازعات الميتافيزيقية، و المنهج البرجماتي محاولة لتفسير كل فكرة بتتبع أثرها و اقتفاء نتائجها العملية كل على حدة"[3]، و أن العقل البشري يتطور مع تطور الحياة الإنسانية، فالبرجماتية متأثرة بنظرية النشؤ و الارتقاء و التي رأت أنها لعبت دورًا فعالاً في العقل و الفكر و هذا ما نجده عند **جون ديوي** حين شكل الأداتية[G] يقول: "إن التفكير يتبع الكفاح، و الفعل يتبع التفكير"[4] و من سمات المنهج البرجماتي أنه اتجاه عملي يعتمد على التجربة في تفسير القضايا، و تفحص الأفكار و البحث عن قيمتها و كي تتضح أكثر معالم البرجماتية يقوم **وليم جيمس** بخطوة حقيقية في بناء فلسفة برجماتية نقية، فيأخذ بالتجربة الأصيلة و ذلك للتوسيع من مفهوم البرجماتية[5].

1)– محمد ،شيخاني، التيارات الفكرية المعاصرة و الحملة على الإسلام، دار قتيبة للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص 322

2)– محمد، جديدي، فلسفة الخبرة (جون ديوي نموذجًا)، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 25

3)– علي، عبد الهادي، المرهج، مرجع سابق ، ص 24

***)– أداتية instrumentalism، ضرب من البرجماتية إصطنعه جون ديوي للدلالة على أن المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة**

4)– محمد، شيخاني، مرجع سابق ، ص 322

5)– علي، عبد الهادي، المرهج، مرجع سابق ، ص 26

المبحث الثاني: الجذور الإنجليزية للنزعة التجريبية عند وليم جيمس

نمت الفلسفة البرجماتية بفضل أفكار **وليم جيمس** و تجلى ذلك في أعماله التي تركت أثرًا بالغًا و عرفت رواجًا واسعًا، و قد عادت مجهوداته الفلسفية إلى إمتدادات تمثلت في التجريبية الإنجليزية كأهم مصدر فلسفي تعود إليه البرجماتية في مختلف منطلقاتها و قد تفاعلت معها و ركزت جل اهتمامها إلى النتائج الخاضعة للتجربة أمام الواقع و الوجود الإنساني، هذا ما تجلى في أفكار **وليم جيمس** و دوره الفعال في تطوير البرجماتية و كأحد العوامل التي ساهمت في رقي المجتمع الإنساني.

المطلب الأول: أهمية وليم جيمس في نشر البرجماتية

ساهم **وليم جيمس**[G] في مدارس عديدة مع بعض المفكرين و من خلال الدراسات التي التزموا بها و التي أثمرت فكرًا انتهت عند نقطة واحدة هي مبدأ العمل، لذلك يشيع الإعتراف اليوم بأن **بيرس** هو الأب الروحي للبرجماتية الحديثة، و أول مبشر لها، غير أن الدعوة الجبارة التي قام بها **جيمس** هي التي أضفت على المذهب كل ما كانت تتصف به شخصيته العظيمة، و نقلت المذهب البرجماتي مذهب أكاديميًا، و إنما دفعه إلى مرحلة قوة روحية من الطراز الأول و نظرًا إلى أن المذهب البرجماتي كان تعبيراً عن شعور عام، فإنه لم يسفر عن تفكير فلسفي متخصص فحسب بل أصبح أيضًا قوة فعالة في المجالات الأخرى للحياة العقلية[1]، أي أن الفيلسوفين **وليم جيمس** و **بيرس** قد أحرزا ذلك التوافق و الانسجام و التكيف في الأفكار و زاد عليهم **جون ديوي**، و خاصة عند تجاوزهم لسلبيات المناهج السابقة.

عرف جيمس الفلسفة البرجماتية أنها فلسفة تحل إلى حد بعيد، و كان **جيمس** يميل من وجهة النظر المنطقية إلى التعددية و لكنه كان مع هذا يقدر الحاجات الروحية لهؤلاء الذين يثنون في الكون كعالم واحد، و هو ما رأى الفلسفة البرجماتية تسمح لهم به، و بالتالي لا يمكن أن نقول أن **جيمس** يرفض التجديد الميتافيزيقي الذي

*)– التعريف بوليم جيمس، و عرض أهم الجوانب من حياته و ذكر أعماله مخصص له جزء في آخر الملحق

1)– رودلف، متس، الفلسفة الإنجليزية في مائة عام، ترجمة: فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر و التوزيع، الإسكندرية، مصر، د(ط)، 2011، ص 07

طالما نبذته البرجماتية في أكثر من جلساتها، لأن وليم **جيمس** كونه برجماتيًا نجده يقدر المتطلبات الروحية، و باعتباره عالمًا نفسانيًا شهيراً و على هذا الأساس لا ينبغي أن نقصر من قيمة **جيمس**[1].

"فالأهمية الفلسفية لجيمس ترجع إلى عاملين دوره الفعال في نشر البرجماتية، أما الآخر فيرتبط بنظرية يسميها "التجريبية الجذرية"، و قد صاغ هذه النظرية للمرة الأولى عام 1904 في مقال بعنوان "هل للوعي وجود؟". يثبت أن الثنائية التقليدية للذات و الموضوع عقبة في وجه الفهم السليم لنظرية المعرفة، ففي رأي **جيمس** أن من الواجب التخلي عن فكرة الوعي الذاتي بوصفه كيانًا يوجد في مقابل موضوعات العالم المادي"[2] بمعنى أن **جيمس** يولي كل تفكيره المعرفي في أثر الأعمال و ما يترتب عليها من نتائج يصل إليها دون أن يتأمل في مضامينها الذاتية أو الموضوعية، و حتى في عواقبها و كأن الإنسان يوجه فكره في كل ما يرضي دون أن يتوقع الضرر و السلب و من مميزات البرجماتية كذلك أنها تؤمن بالتفاؤل.

يعرف جيمس البرجماتية أنها اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير، حيث تمثل إتجاهًا مألوفًا في الفلسفة و هو الإتجاه التجريبي، و أن المعرفة خاضعة للعمل الذي يهدف إلى الدفاع عن حياة الإنسان[3] و غرض **جيمس** هو إزالة الغشاء الذي أحاط بالفلسفة و أن يعيد بطريقة جديدة وجهة النظر الإنجليزية القديمة نحو النظرية و العقيدة[4] بمناهضة جميع التصورات الذهنية المجردة و إرضاء حاجات الفرد المادية حيث يزدهر الإنسان، و أن الدين صادق لماله من أثر في نفوس أتباعه[5].

يظهر أن **جيمس** أنه يرى في العمل الإنساني جانب ديني خاضع للتجربة، و لكن أي دين يقصد **جيمس**؟ ما دام يؤمن بما ينفعه فقط، و ما يرضيه هو أثر أي عمل سواءًا كان سلبيًا أو إيجابيًا، نافعًا أو ضارًا لغيره، فهو لا يكترث لهذا، و هنا نرى أن يبعد مثلاً عن بعض الديانات فديننا الإسلامي لا يقر بهذا النوع من

1)– ألفريد، جوليس، أير، الفلسفة في القرن العشرين، ترجمة: بهاء درويش، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006، ص 157، 158

2)– برتراند، رسل، حكمة الغرب (الجزء الثاني)، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآدب، الكويت، د(ط)، 1983، ص 180

3)– حربي، عباس عطيتو، موزه محمد عبيدان، مدخل إلى الفلسفة و مشكلاتها، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 330

4)– ول، ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف للنشر، بيروت، ط6، د(ت)، ص 623، 624

5)– عثمان، أمين، نوابغ الفكر الغربي، العدد 8 شيلر، دار المعارف للطباعة و النشر، مصر، د(ط)، 1598، ص 32

الأخلاق، و بالرغم من أنه يرى أن العمل عبادة، و لكن يميز دائمًا بين نوع العمل، و الثواب و الأجر لا يمكن أن يجزء دائمًا بعد العمل مباشرة في الحياة الواقعية، و إنما هناك آخرة. يرى **جيمس** أن المعرفة مكتسبة و جزئية، و تجريبية و التي ينعتها بالراديكالية، و فيها نجد الهوية بين الصدق و إمكانية التحقق التجريبي، إن **جيمس** فيلسوف واقعي ما دام يقبل وجود موضوعات واقعية مستقلة عن الخبرة الفعلية[1] "ولم يلبث جيمس أن حول تجريبيته أعني توفيقه بيت التطورات و الفيسيولوجيا أو الاستنباط إلى المعتقدات الفلسفية ذاتها فقد أخذ (إحساس المعقولية) إلى معمل علم النفس لبحثه بحثًا إكلينيكيًا، و كانت لديه عادة التشويش، و قد غدت فلسفة البرجاتية حين بدأ يصوغ الحقيقة ذاتها سيكولوجية"[2] ذلك أن مشكلة الحقيقة و الاعتقاد مرتبطتان عند **جيمس** في محاولته تطوير واقع ذي وجه إنساني انطلاقا من عملية تجريبية بحتة. كما لا ننسى أن لتأثير كانط في عصره أثر بالغ و كذلك التطور الذي يبدو في مزاجه و تجربته، و أثره في علم النفس، حيث يعرف **جيمس** البرجماتية على أنها نظرية في ماهية الحقيقة، و منهج لحسم الخلافات الفلسفية فأعلن أن الحياة النفسية أصيلة، و تكمن في مدى اتصالها بالعالم[3] الذي نظر إليه جيمس كصورة مادية، كما أنه رفض الجدل و أكد على تحليل العقل و اتخذ أساسًا للمنفعة و كموضوع للحقيقة، و مهد الطريق للمذهب الإيماني و الروحي و المادي مختلفان[4] و هنا يتضح تأثر وليم **جيمس** بفلسفة **جورج باركلي**، و استشهد بتعريفه في المادة، و الجوهر المادي و أخذ **جيمس** برأي هيوم في العلية و أخذ عنه استعداده الحاسم في التجربة و المعرفة الجزئية المحدودة بالحواس كما أخذ عنه إنكاره للمبادئ الفطرية و أنكر المعرفة الكلية الضرورية بمعنى أن **جيمس** قد قدم تجريبيته للعالم بدرجات متباينة مستوحاة من فلاسفة سابقين امثال **جون لوك**، و من ثم رسم صورة أولية للعالم إستنادا بالتجربة و الإختلاف بين **جيمس** و التجريبيين هو أنه يؤمن بحقائق دينية تخضع للتجربة و بما يسميه هو بـ "التجربة الدينية"[5].

1)– محمد، فتحي الشنيطي، وليم جيمس، دار الحمامي للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 1975، ص 173

2)– H.W shneider, histoir de la philosophie américaine,Tr: u–simoment, P.U.F, paris, 2ème ed, 1955, page 399

3)– محمود، فهمي زيدان، وليم جيمس، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2005، ص 14، 15

4)– ل.م ،روزنتال، ب. بودين، الموسوعة الفلسفية (وضع لجنة من العلماء الاكاديميين السوفياتيين)، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط2، 2006، ص 173

5)– محمود، فهمي زيدان، مرجع سابق ، ص 15

المطلب الثاني: مفهوم التجربة عند وليم جيمس و أثرها الفلسفي

إن الحقيقة التي أتى بها **جيمس** بالخضوع للتجربة و من ثم الإيمان بالفكرة، و كل شيء بعيد عن الحواس و منطق العقل، و هنا قام **جيمس** بتوجيه نقد إلى أصحاب المذهب التجريبي، فالتجريبيون إذا لا يؤمنون بحقائق تأتي عن طريق الوجدان أو الذات[1]. إن اعتبار التجريب الذي يراه وليم جيمس خالصًا أو غير ذلك هو قول لا معنى له، أما القول بأنه سيكون جذريًا أو غير ذلك فهو على العكس من ذلك قول ذي معنى كبير و من هذا المنطلق لم يتميز **جيمس** عن غيره من التجريبيين القدامى إلا من خلال التبشير بهذا "التجريب الجذري"، و قد تمثلت المهمة الأساسية التي أوكلها على التجريب الجذري في رسم صورة أولية للعالم تكون فيها التجربة و الواقع وجهان لعملة واحدة و من جهة يمشي **جيمس** على نفس التجريب الكلاسيكي الذي جاء به **جون لوك** و **باركلي** و **هيوم** الذين يرون بأن التجربة ليست تصورية و إنما تنحصر في إنطباعات منعزلة و قصيرة الخصائص[2].

و تتلخص نظرية جيمس التجريبية في ثلاث نقاط:

1- نظرية في العلاقات بين الذات و الموضوع

2- نظرية بين الأشياء و في العالم الطبيعي

3- نظرية في التعددية[3]

هاته النقاط الثلاثة كانت كلها رد فعل معارض للمثالية التي قدمها كل من **برادلي** و المثالي الأمريكي جوزيا رويس (1855، 1916م)، و يعتمد مذهب **جيمس** على تصور ديناميكي حركي، أما المنفعة لا يقصد بها **جيمس** إشباع الحاجات المادية، و إنما قدر على من أساء فهمه و اعترضه بحيث قصد بها كل ما يساهم في

1)- تامر، زروقي، الاعتقاد و الحقيقة عند وليم جيمس، ماجيستر في الفلسفة، إشراف أ.د: البخاري حمانة، كلية العلوم الاجتماعية، وهران، الجزائر، (غ. منشورة)، 2010، 2011، ص 102

2)- Jean greisch, le buisson ardent et les lumières de la raison, invention de la philosophie de la religion, les editions cerf, Paris, tome: 2, 2002, page 417

3)- ابراهيم مصطفى، ابراهيم، مرجع سابق ، ص 106

رقي و ازدهار الإنسانية[1]، ففي مقدمة كتاب **جيمس** "الإرادة للإيمان" يصف جيمس فكره الفلسفي بأنه حسي متطرف و هنا يؤكد **جيمس** على مذهبه في مقابل أو في مواجهة المذهب العقلي، و في نفس الوقت اعترف أنه لم يأت بجديد في محاضراته عن البرجماتية و أنه مجرد تطوير لمبدأ بيرس[2] و بما أن فلسفته تجريبية فلابد من أنه يعني بالمشكلات الفلسفية و محو فلسفته يقوم على التعدد أو التكثر مع التغير في الحياة و كذا الصيرورة و التي نادى بها **برغسون**، و بها نجد **جيمس** يفتح طريقًا حيويًا للمستقبل[3] و أنه اتخذ موقفًا وسطًا بين العقلين و التجريبيين و رد عليهم بأفكاره التي تقوم على المنفعة، كما وقف بين الاتجاه الواحدي و التعددي، و عزز الكثرة فيما يخص الأشياء و نظريته في العلاقات، بمعنى أن الإيجابية التي أتى بها **جيمس** في تفضيله للتعدد، و الأخذ بالموقفين العقلي و التجريبي، دون المغالاة مع هذين المبدأين، أي أنه أخذها بشكل نسبي، و هذا كله يتناسب مع المنطق العام حين تنعدم الوحدة المطلقة[4].

"يبين **وليم جيمس** حجته في "علم النفس" و جوهر "إرادة الاعتقاد" و "البرجماتية" على أساس أن الدماغ مرن و وجد ليوجه، و الشعور ليميز و النتيجة لا مفر منها، و هي أن الدماغ و الشعور يجب أن يعملا معًا"[5] بمعنى أن **جيمس** يستخدم علم النفس في التجربة، و كأنه علم من علوم الطبيعة، و ذلك في اهتمامه بالدماغ الذي يشكل العقل الإنساني. فعلم النفس على حسب **جيمس** لم يعد علمًا معياريًا و لا ينبغي أن ينشر قواعد الصحة العقلية و إنما هو إكلينيكي يشرح للناس كيف تعمل أذهانهم حين تعمل بطريقة سيئة، من علماء النفس هؤلاء أصبح **جيمس** بوجه خاص مهمًا في الفلسفة كما أصبحت البرجماتية بمعنى واسع الشمول تدل على

1)– فيصل، عباس، موسوعة الفلسفة، دار الفكر العربي للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص 197

2)– نوال، الصراف، الصايغ، المرجع في الفكر الفلسفي، نحو فلسفة توازن بين التفكير الميتافيزيقي و العلمي، دار الفر العربي للنشر، القاهرة، د(ط)، 1983، ص 258

3)– ماهر اسماعيل، الجعفري، حسين رحيم التكريتي، فلسفة التربية، مديرية دار الكتب للطباعة و النشر، بغداد، د(ط)، 1993، ص 65

4)– ابراهيم مصطفى، ابراهيم، مرجع سابق ، ص 102، 103

5)– هربرت، شنيدر، مرجع سابق ، ص 345

قوة النمو[1] و مما لا شك فيه أن وليم جيمس واحد من الذين طورا علم النفس الإجتماعي في أمريكا[2] أي أن هذا الذي ينادي به جيمس بالمنفعة، النسبية، النمو، الواقع و العمل شكل من أشكال المصالح الإنسانية و كمحاولة لتحسين و تطوير الوجه الإنساني انطلاقا من التجربة، الملاحظة، الفعل، الوسيلة و بذلك يفرض الإنسان وجوده، و أول ما يركز عليه **جيمس** في سيكولوجيته هو تطويرها إلى علم يسير و يقوم علم النفس و بذلك لابد من خلق منهج له[3] و هذا يولد تناغم و إنسجام مع أن البرجماتية تمنح المرونة للنظريات و تنبذ الجمود و تحافظ على مبدأ العمل و المنفعة في إطار أساسي[4].

1)– H.W shneider, histoir de la philosophie américaine,Tr: u-simoment, P.U.F, paris, 2ème ed, 1955, page 32

2)– رشاد ،غنيم، نادية السيد عمر، السيد محمد الرامخ، النظرية المعاصرة في علم الإجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د(ط)، د(ت)، ص 148

3)– روني، إيلي، ألف، موسوعة أعلام الفلسفة العرب و الأجانب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1992، ص 375

4)– محمد ،عبد الحفيظ، مرجع سابق، ص 62

المبحث الثالث: الحضور الإنجليزي في الفلسفة البرجماتية

عمل **وليم جيمس** على إحياء و نشر مذهبه في البرجماتية و يرجع الفضل في بناء هذه الفلسفة إلى الفلاسفة التجريبيين في بريطانيا، و بعض المفكرين أمثال **فرديناند شيلر** ممن كانوا على اتصال مباشر بأمريكا، حيث برزت هذه الفلسفة الإنجليزية في الفكر البرجماتي متخذة في ذلك مبدأ من مبادئ فلسفة الأخلاق و هي فكرة الإنسانية.

المطلب الأول: المنطلقات الحقيقية للأثر الإنجليزي

عرفت الفلسفة البرجماتية بعض المناصرين لها في إنجلترا، و من هؤلاء نجد **فرديناند شيلر**[G] الذي حاول تطبيق مناهج البرجماتية المستخدمة في المنطق[1] و قد تعرف **شيلر** على الفيلسوف **وليم جيمس** و قاما بدراسات فلسفية دارت معظمها حول الفكر البرجماتي، و تراث هذا الفكر لم يكن مرتبطًا بالأمريكيين وحدهم بل كان ذا علاقة متينة مع التراث البريطاني الذي تبنى الخبرة الحسية. كما أن البرجماتيون سواءًا في إنجلترا أو أمريكا يعتبرون أن الطبيعة الإنسانية مرنة[2] إذن فالبرجماتية هي حركة فلسفية أمريكية، حيث كان **وليم جيمس** و يقينًا منه بوجود تشابه و تجانس بين فلسفته و فلسفة الإنجليزي **فرديناند شيلر**، و يصنف هذا الأخير من بين البرجماتيين[3] الذي شكل تيارًا برجماتيًا إنجليزيًا قد تأثر هو كذلك بالحركة البرجماتية الأمريكية لا سيما مدرسة **هارفارد** التي مثلها **تشارلز بيرس** و **وليم جيمس**.

و كان لها الأثر الكبير على مدرسة **أكسفورد** بإنجلترا التي قادها **شيلر** كم تأثرت مدرسة أخرى في نفس قارة أمريكا التي قادها الفيلسوف **جون ديوي** و هي مدرسة **شيكاغو**[4] و ما يهمنا في هذا السياق هو **شيلر** الذي مثل مدرسة أكسفورد، و من أهم ما تأثر به من خلال أفكاره هو **وليم جيمس**، كما اعترف **شيلر** نفسه أنه تأثر

---

*)– ذكر مقتطف من حياة الفيلسوف فرديناند شيلر و أهم أعماله في الملحق

1)– عبد الرحمن، بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ج2، ط2، 1984، ص 24

2)– ابراهيم ،محمد عطا، عبد الله بن ابراهيم حافظ، مرجع سابق، ص 76

3)– Serge hutin, la philosophie anglaise et américaine, P.U.F, Paris, 2ème ed, 1963, page 67

4)– محمود، فهمي زيدان، مرجع سابق، ص 175

بالحركة السفسطائية و أقام عليها أساس فلسفته، و كذا تأثر تأثرًا كبيرًا برجل المنطق "**ألفريد سدجويك**" حيث أقام **شيلر** منطقه و جعل منه منطقًا إنسانيًا بمعنى أن **شيلر** قد طور مذهبه في الإنسانية من خلال كتاباته التي طرحها، و لكنه ظل محتفظًا بالبرجماتية و في هذا يرى بعض المهتمين بالفلسفة البرجماتية أن **شيلر** اقترح على **جيمس** تسمية البرجماتية بالإنسانية[1] و رغم أن البرجماتية لا تشكل نظرية فلسفية موحدة حيث يبدي فلاسفة المنهج البرجماتي، و جهات نظر متباينة حول طبيعة الكون و العقل، إلا أنها تحتوي مع ذلك على قدر من الإتفاق فيما اختص بجملة فرضيات أولية. و يقصد أن فلاسفة البرجماتية و اختلفوا و تباينوا في أفكارهم كما أنهم اتفقوا في الأخير عند بعض النقاط و الأفكار المشتركة، فمثلاً نجد أن **شيلر** يؤكد على التطبيق الإنساني فلا غرو أن يكون قد اختلف عن **بيرس** و حتى **جيمس**، و يظهر جليًا في بعض الفروق و الاختلافات إذ نجد أن بيرس يرى أن البرجماتية قاعدة لتحديد المعاني، أما **شيلر** فقد غيرها و جعلها قاعدة إنسانية، و هناك تزييف لنظرية **بيرس** و بالتالي سوف يترتب عليها نتائج غامضة و مخالفة[2].إن الآراء التي اتخذها **شيلر** كان لها مشاركة كبيرة مع **وليم جيمس**، و كذا جون ديوي، و تتمثل هذه المشاركة في بعض الإشكاليات الفلسفية والتي تكلم عنها **شيلر**و منها نظرية المعرفة، والنظرية التعددية في الميتافيزيقيا والأخلاق والدين، و كذلك المنطق الصوري الذي رفضه **شيلر** واستبدله بمنطق الاستعمال و رأى أن البديهيات مصادرات إنسانية وأن المنطق إنساني بحت[3]،حيث يرى **شيلر**أن فلسفة **أرسطو** لا زالت تعرض على الناس.و يجدر بالإشارة هنا أن **شيلر** درس تسع سنوات مشبعة بالفلسفة الهيجلية، و التي هي كذلك قد أقام عليها الدليل في فلسفته و اتخذها كرد فعل ذاتي، و وقف في وجه المثالية كمثالية **برادلي** (1846-1924م) المستوحاة من المثالية الهيجلية جاءت كرد فعل في النصف الثاني من القرن

1)– محمد، مهران، محمد، مدين، مرجع سابق، ص 70

2)– س.ي، جود، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة تعريب: محمد شفيق شيا، مؤسسة نوفل للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص 85

3)– محمود، فهمي زيدان، مرجع سابق، ص 175، 176

التاسع عشر مباينًا لمذهب العمل[1]، و كأن **فرديناند شيلر** ليس برجماتيًا إلى حد بعيد بما أنه يركز على الإنسانية بالدرجة الأولى، ويعطي للبرجماتية صفات أخلاقية خاصة بعيدة قليلاً عن منافع الحياة، فهو يولي اهتمامه بالإنسان و ليس بمصلحة الإنسان التي ركز عليها **جيمس** و بالرغم من تأثر **شيلر** به و بمذهبه الذي شكل مؤثرًا من المؤثرات الخارجية و من الأصول التي ساهمت في أفكار **شيلر** لنجد انه قد استمد فكرته عن الإنسانية من السفسطائي "**بروتاغوراس**" الذي يؤمن كل الإيمان بالتغير و النسبية و هذا ما جعل **شيلر** يقول أن البرجماتية هي "تجديد واع للنسبية النقدية، فالسفسطائية لا تتقيد باتجاه واضح، بل تتخذ أسلوباً للتمويه في سبيل الإقناع، عكس البرجماتية التي تدعي أن لها منهج واضح[2]" فالفيلسوف **شيلر** نفسه كان يعد **بروتا غوراس** أن برجماتي في ذاته، و اتخذ **جيمس** و زميله **شيلر** النسبية في المعرفة و القيمة و الأخلاق و الدين، و لو يعترف **شيلر** بالبرجماتية إلا من خلال تقيده و دراسته لفكر السفسطائية، و لما رأى بعض الاتفاقات بين البرجماتية و السفسطائية حيث أقام دراسته حول هذين الحركتين و من ثم اعترف باعتناقه للبرجماتية[3].

عندما إنتقلت أفكارها إلى إنجلترا و انتشرت بين مفكريها مما أدى إلى ظهور كتاب "المثالية الشخصية" عام 1902، الذي عبر عنه مجموعة من الشبان، و كان **شيلر** على رأس هذه القائمة و من مؤلفي هذا الكتاب **هنري استيوارت** (1863-1946م)، و **شيلر** نفسه و **هاستنجز راشدال** (1858-1924م) لم يكونوا جميعهم من البرجماتيين، و لكنهم قبلوا جميعًا المذهب التعددي، و هذا الكتاب يدل على الأزمة الروحية للقرن التاسع عشر أكثر من دلالة على ظهور تيار جديد يؤيد الاتجاه الواحدي و لكن لم يكن هذا الكتاب جديدًا، و إنما عبر فقط عن بعض المشاكل التي اعترت القرن التاسع عشر، و هذا لم يقدم جديد للبرجماتية لأن ممثليه لم يكونوا كلهم برجماتيين.

1)– عثمان ،أمين، مرجع سابق، ص 18، 19

2)– علي، عبد الهادي، المرهج، مرجع سابق، ص 35، 36

3)– محمد، جديدي، مرجع سابق، ص 24

و من المشاكل التي حاول ممثلوا هذا الكتاب حلها هي ذلك الهجوم الذي أحدثه هؤلاء على بعض الحركات التي كانت مسيطرة كالمثالية[1].

و يسلم **شيلر** على أية حال بضرب من خلاص نهائي بتساوق كلي و بإله شخصي و أوحد في آن واحد مع جيمس، و كان يهدف الأعضاء الثمانية إلى ضمان برنامج مشتركًا بنداه الرئيسيان هما: كل فكرة ينبغي أن تختبر بالاحتكاك مع الواقع، و كل فعل هو فعل شخصي[2].

اتخذ **شيلر** مصدرًا مؤسسًا على المعرفة من خلال القاعدة السفسطائية "الإنسان هو مقياس جميع الأشياء"، و فيما يخص تأثره بالتجربة التي تقوم على الفعل و الواقع الذي ينادي به، و من حيث طبيعة الحق باستبعاد الحقائق المطلقة، و اتخاذ النسبية شكلاً و مضمونًا في تفسير الأشياء و حتى أن المنفعة في نظر **شيلر** يمكن أن تأخذ بمقياس نسبي، و مما لا شط فيه هو وجود بعض الاتفاقات و الاختلافات مع الفلاسفة الوضعيين من خلال تصوراتهم و ذلك فيما يخص الخبرة و النسبية[3].

بينما نجد في بعض كتابات **شيلر** هو انتماءه الشديد و إقراره بالمذهب التعددي و إلى المذهب الشخصاني، فلم يلبث أن اكتملت أفكاره عن البرجماتية، و لكنه لم يعترف بانتمائه النهائي لها إلا في عام 1903، حيث اتخذ لنفسه تعبير **بروتا غوراس** و أعطى إسمًا في مكان البرجماتية و هو "النزعة الإنسانية"[4]، و أساس فلسفة **شيلر** هو في تأكيدها على أن كل النظريات و المعتقدات تكون ذات صدق و معنى إيجابي إذ تميزت ببعض القيم الأخلاقية كالصدق و الإنسانية[5] و هنا إختلف **شيلر** في تقديمه لهذه الفكرة، فكرة الإنسانية عن زميله جيمس الذي طبق الإنسانية في المنفعة و الإعتقاد في الدين حيث رفض **شيلر** هذا التطبيق و هذه الفكرة كما رفضها **بيرس**، بحيث جعل **جيمس** من البرجماتية معني مرادفًا للإنسانية فحذره **شيلر** و رد عليه بقوله:

1)– إ.م، بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة: عزت قرني، دار المعرفة للنشر، الكويت، د(ط)، 1992، ص 160

2)– إميل برهييه، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ج7، ط1، 1987، ص 163

3)– هنترميد، الفلسفة أنواعها و مشكلاتها، ترجمة: فؤاد زكريا، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2007، ص 407

4)– إ.م، بوشنسكي، مرجع سابق ، ص 160

5)– جون ،هرمان، راندال، جوستاس بوخلر، مدخل إلى الفلسفة، تر: ملحم قربان، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، القاهرة، د(ط)، 1963، ص 158

"إن المذهب البرجماتي أضيق نطاقًا من المذهب الإنساني لأن الأول في جوهره نظرية في المعرفة، أما الثاني فيضيف على هذه النظريات نظريات أخرى في الميتافيزيقيا و الأخلاق و الجمال و الدين، و إذن فالمذهب الإنساني في **أكسفورد**، و المذهب البرجماتي في **هارفارد** يعدان عن تيار واحد و حقيقة واحدة".

فقد شكل موقف **شيلر** إنسجاما فكريًا ماثل أفكار **بيرس** رغم الاختلاف و التباين الذي كان قائمًا في بعض تفسيراتهم، كما صرح **شيلر** في نهاية الأمر إلى أهمية مدرسة **هارفارد** بطريقة ذكية، و لهذا نجد أن **جيمس** كان يعتبره أدق ذهنًا و منهجية، و استطاع بطريقة أو بأخرى أن يثبت وجوده، وجودًا صريحًا في الفلسفة البرجماتية[1].

إن البداية الحقيقة للمذهب البرجماتي ظهرت في مقال **شيلر** الأساسي و هو "البديهيات بوصفها مصادرات" و في صورة إنجليزية خاصة و فيه نستطيع أن نلمح جميع الأفكار التي أثبتت قيمتها في التطور الهائل للبرجماتية الإنجليزية الذي حدث بعد ذلك[2] و المقصود من ذلك التطور و إثبات المنطلق الإنجليزي الذي لعب دوره **شيلر** هو أنه كان يلاحظ بعض الأزمات التي كانت تمر بها إنجلترا آنذاك، إذ كان يدون ذلك في كتاباته سواءًا في الأخلاق أو العلوم أو المنطق و في مجالات متنوعة تخص الإنسان، و الإهتمام به و في نفس الوقت كان يرى أن للإنسانية مجال أوسع في الأخلاق من البرجماتية التي تقود دائمًا إلى الكثير من الكلام. و قد يسيء إليها البعض و ينكرونها، حتى أن جيمس يرى أن البرجماتية تؤدي بنا إلى تناقضات.

و يسمي **شيلر** فلسفته بالبرجماتية ذات "النزعة الإنسانية الإرادية"، كمعنى دال على وجود ملكة الإرادة بصفة نسبية بعيدة عن كل تأمل و بحث نظري[3]، و ما دام الإنسان يولي اهتمامًا للعمل و الإرادة فلابد و أن جميع المناشط الإنسانية لا تفهم إلا بالرجوع إلى الأهداف الإنسانية، أما المعتقدات التي نؤمن بها فيمكن أن تجد

1)– محمود ،فهمي زيدان، مرجع سابق ، ص 175

2)– رودلف، متس، مرجع سابق ، ص 11

3)– عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص 24

تبريرها الوحيد فيما تنفع به لتحقيق الغايات الإنسانية[1] و لا ننسى أن **شيلر** أنه كان مشتغلاً بالأبحاث النفسية، مما زاد باقترابه الشديد بالفلسفة البرجماتية و أن التجربة البشرية تبنى على أساسها الميتافيزيقيا بشكل عيني، كونه سيطرد مجال الميتافيزيقا[2] و لذلك يظهر أن البرجماتيين سواءًا في إنجلترا أو أمريكا يعارضون الميتافيزيقيون، و يعتبرون التأمل النظري جمود للعقل، و إهدار للوقت، و أن يؤمن الإنسان بما هو واقع، و بما هو مجرب سواءًا كان معطى جاهز أو لم يكن، و لكن في نفس الوقت يدعي **شيلر** و **جيمس** و غيره من البرجماتيين على أن الميتافيزيقا تبقى نسبية، حتى أن **جيمس** قد اعترف بهذا في أواخر حياته، و بما أن المسألة الميتافيزيقا مسألة ماضية، فلا شك أن البرجماتية قد وقعت في تناقض لأنها كانت تؤمن فقط بما يمليه الحاضر و يكشفه المستقبل[3].

ذكر لنا **وليم جيمس** "أن **شيلر** و **ديوي** قد نجحا في إعطاء المستفاد الوحيد الصامد الذي يزاد عنه في هذا الموضوع و إنه لموضوع البرجماتية حساس جدًا، سريع الإثارة يضرب بجذيراته الخفية في كل أنواع الشقوق، و من ثم لا تتيسر معالجته بطريقة إجمالية التي هي الطريقة الوحيدة التي تليق بمحاضر عامة[4]"، من الواضح أن **جيمس** يقر و يعترف بإعجابه الشديد **لشيلر** عن فلسفته في الإنسانية و التي أثمرت جهودًا خاصة في الفلسفة البرجماتية، و كأثر يثبت نتائج إيجابية في الحياة الأخلاقية، بحيث يرى أنه صاحب أفكار صحيحة و دقيقة، و أن منهجه الإنساني واضح، يخلو من بعض الإلتباسات التي تحصل للبرجماتية، و يعترف **جيمس** بأن منهج **شيلر** في الإنسانية منظم يمكن أن يستفيد منه أي إنسان، حتى أن **شيلر** نفسه ادعى أنه توصل إلى المبادئ الأساسية للمذهب البرجماتي، و في نفس الوقت خصص هجمات في بعض كتاباته على **برادلي**[5] و يرى **شيلر** أن المشكلة الفلسفية تخص الإنسان صاحب الإرادة لتفهمه عالم التجربة، و قيمة الإنسانية و أن وجود الفلسفة يكمن في

1)– خلف، الجراد، معجم الفلاسفة المختصر، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 24

2)– رودلف، متس، الفلسفة مرجع سابق 2011، ص 20

3)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 19، 20

4)– جيمس، وليام، البرجماتية، تر: محمد علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة، د(ط)، 1965: ص 232

5)– اسماعيل، الشرفا، الموسوعة الفلسفية، دار أسامة للنشر و التوزيع عمان ، الأردن، ط1، 2002، ص 116

إحياء و معالجة وجود الإنسان[1] و بناءًا على ذلك أعتبر مذهب **شيلر** حيوي مرتبط بحاجيات الإنسان في المجال المعرفي، و ما دام عقله يؤمن كل الإيمان بالسفسطائية فلا عجب أن اعتبروه سفسطائيًا، كما لم يترك لنا **شيلر** أثرًا واضحًا في الفلسفة الإنجليزية، لذا لم يطور أحد مذهبه[2] و بالرغم من أن كل من الفيلسوف **جيمس** و **شيلر** كان يقتبسان من أفكارهما دون ادعاء السرقة و الحرج، و دون معرفة من الأسبق من حيث ما جاءا به من أراء، فقد صعب التحقيق بين هذين الفيلسوفين و أفضلية كل منهما[3].

1)– علي، عبد الهادي، المرهج، مرجع سابق ، ص 232

2)– محمد، مهران، محمد، مدين، مرجع سابق ، ص 20

3)– عثمان ،أمين، مرجع سابق ، ص 20

المطلب الثاني: رواد النزعة الإنسانية

اهتمت الفلسفة البرجماتية باتجاهات كثيرة، و كانت معظم مواقفها موجهة إلى الإنسان، هذا الإنسان الذي تدخل في جميع مناحي الحياة، كونه يركز كل فكره على المنفعة و الأهداف الإنسانية و المصالح، و هنا اختلفت معاني هذا الاتجاه أو الموقف الإنساني. و كنزعة تناولتها البرجماتية التي عادت إلى الأفكار الكلاسيكية، لأن لفظة الإنسانية لفظة قديمة، و فكرة تبناها المفكرين و الفلاسفة منذ القدم. فإذا رجعنا إلى بعض المعاجم نجد أن لفظة "الإنسانية" أولاً تدل على ما اختص به الإنسان من الصفات[1] أي أن مفهوم الإنسانية يعني جملة من الفئات التي تكون الفصل النوعي للإنسان[2]، الذي يعد قيمة عليا في علم الأخلاق، متخذًا مبدأ التسامح كصيغة مثلى للتطور الإنساني[3] هذه المفاهيم التي ارتبطت بالمذهب الإنساني هي ردود فعل تأثيرات لمراحل أخلاقية عاشتها البشرية، و من ثقافة مختلفة على حسب سهولة أو غموض الطبيعة الإنسانية و التي تعد الركيزة الأساسية في البرجماتية كونها تحدد المعنى الإنساني الذي يعبر عن الصورة الأخلاقية للفرد[4]، و لهذا إتخذ المذهب الإنساني مفاهيم كثيرة إذ نجد عند اليوناني مثلاً أن فكر سقراط متجسدًا عند أغلبية الفلاسفة خاصة و أنه يرى أن الإنسان "يعمل الشيء إذا وجده نافعًا، و يتركه إذا وجده مضرًا أو مؤذيًا و لهذا يمكن أن تكون الأخلاق السقراطية أخلاقًا نفعية، ما دامت تؤكد على قيمة العمل و تمجده[5]، كما وجد مؤرخين نظروا إلى الإنسانية على أنها منحصرة في وجودها، و مع الفيلسوف أرسطو في القرن السادس قبل الميلاد، و هنا اختلف المفكرين في تحديد زمنها، و أصل مفهومها الذي يؤدي إلى إحترام الغير، و تأكيد جهود الإنسان من أجل معرفة أسمى تبعدنا عن كل رذيلة و لهذا فإن الفكر اليوناني مجد الإنسان، و إعتقد فيه اعتقادًا عظيمًا باعتبار أن الإنسان هو الكائن الأعظم،

1)– جميل ،صليبا، مرجع سابق ، ص 158

2)– وهبة، مراد، مرجع سابق ، ص 105

3)– ديدله، جوليا، قاموس الفلسفة، تعريب: فرانسوا أيوب، إيلي نجم، ميشال أبي فاضل، دار لاروس، بيروت، ط1، 1992، ص 496

4)– معزي، وردة، النزعة الإنسانية في فلسفة وليم جيمس، ماجيستر في الفلسفة، إشراف أ.د: فريدة غيوة، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية، قسنطينة، (غ. منشورة)، فبراير 2009، ص 2، ص 5ن 6، 7

5)– علي، عبد الهادي، المرهج، مرجع سابق ، ص36

و إنتشر عند اليونان أن الإنسان خاضع كل الخضوع للإله مع أنه يملك إرادة حرة[1]، أما في عصر النهضة فنجد أن الاتجاه الإنساني قد جدد المفاهيم القديمة و التي تخص الإنسانية و خاصة يردها على العصر الوسيط الذي تميز بقيود تمثلت في سيطرتها على العقل و تجسيده بفضل اقناعها المجتمع الإنساني (فكرة الدين المسيحي، لذا بقي العقل آنذاك راكدًا جامدًا كعكس التطور الوضعي الذي نادى به **أوغست كونت** حيث يرى أن المثال الأساسي للتطور الإنساني يقوم في علم الاجتماع الوضعي على تغلب إنسانيتنا على حيوانيتنا".

و الإنسانية كموجود أعظم هي مجموع أفراد النوع الإنساني[2] ككائن يتصف بالخلود أو ككائن جمعي، بحيث يعلو العقل سلطان الغريزة كغاية خلقية[3] و هذه الفكرة عن الاتجاه الإنساني لعبت دورًا في إحياء المعرفة الكلاسيكية، و لعب الإنسانيون الدور الرئيسي في حضارة عصر النهضة[4] و الإنسانية كحركة مثلها الكتاب و المفكرون، و ممن إشتهروا باسم الإنسانيين فرانسيسكوا بترارك (1304-74) مؤسس هذا التيار من حيث موضوع الفكر الإنساني و الاهتمام بالوجود الإنساني[5] الذي يعد قيمة لا تعلو عليها أية قيمة في علم الأخلاق كي تبلغ أعلى مراحل التطور من أجل مستقبل الإنسانية، فهو مذهب فلسفي أدبي لا ديني، و يغلب وجهة النظر المادية[6] و هذا ما نجده في فلسفة **بنتام** و كتابات **برتراند رسل** الإلحادية، و بداية عصر النهضة الأوربية، إذ يتعين بالخصوص في إيطاليا، و من رواد المذهب الإنساني الأوائل هم: **بوجيو، بروني**، و المحامي **مونتي لشيانو**

1)– صايم، عبد الحكيم، النزعة الإنسانية في الشخصيات المعاصرة (رونيه حبشي، محمد غريز الحبايب)، دكتوراه جولة في الفلسفة، إشراف أ.د: محمد عبد اللاوي، كلية العلوم الإجتماعية، قسم الفلسفة، وهران، 2006، 2007، ص 2، ص 12

2)– أحمد، محمود صبحي، صفاء، عبد السلام جعفر، في فلسفة الحضارة (اليونانية، الإسلامية، الغربية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د(ط)، 2000، ص 104

3)– مراد، وهبه، مرجع سابق ، ص 105

4)– أحمد، محمود صبحي، صفاء، عبد السلام جعفر، مرجع سابق ، ص 104

5)– أكسل ،فايس، أطلس الفلسفة، ترجمة: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص 85

6)– كميل، الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي و الإجتماعي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 544

و غيرهم من المفكرين[1] و على حد تعبير الفيلسوف الأمريكي جون ديوي حيث يرى "بأنه كان اهتمام عصر النهضة بحياة الإنسان آنذاك، و ثمة الاهتمام بعلاقات الإنسان بالطبيعة كنتيجة لذلك، من أهم ما ميز ذلك العصر عن سواه، بل وصل الأمر بهذا الاهتمام إلى حد معارضة عصر النهضة لأي اهتمام ما ورائي آخر"[2]، و وجدو الكثير من الأعلام الذين أعادوا الاعتبار إلى الآداب اليونانية و اللاتينية القديمة و إلى التفكير الشخصي و منهم **إيرازيموس** مور و **مونتاني** و **بوديه**[3] حيث كانوا يرون في الإنسانية أفكار و كتابات تخص نشاط الإنسان، فالإنسانية حركة أكدت على تفوق الإنسان، ودائمًا بالرجوع إلى الأعمال و النصوص القديمة، و عاش مفكريها الأوائل في القرن الخامس عشر، أما في القرن السادس عشر و الثامن عشر تميز المذهب بدراسة العلوم الإنسانية[4] و يؤكد **ديوي** على أنه "يجب الإشارة إلى أن الفلسفة الإغريقية لا تطرح الإشكالية في صورته المعاصرة، المعاصرة، فعلى ما يبدو أن سقراط اعتقد في واقع الأمر بأن علوم الطبيعة، لم تكن في المتناول، و لم تكن ذات أهمية كبيرة، و لأن الهدف المعرفي الأسمى تمثل في طبيعة الإنسان"[5].

فالحركة الإنسانية الفكرية التي دعت إلى احترام الإنسان و الحرص على مكانته و الاهتمام بظروفه، و الحفاظ على صورته، و الدعوة إلى تطوره، و كل هذه الخصال التي دفعت بالإنسانية بالنهوض مع رقي الإنسان ظهرت في عصر النهضة من القرن الرابع عشر إلى القرن السادس عشر، و من أبرز أتباع المذهب الإنساني نجد كذلك **دانتي** و **ليوناردو دافنشي** و **رابليه** و **كوبرنيك** و **شكسبير** و **أيراسيموس**، و بلغ المذهب الإنساني في القرن الثامن عشر مكانة عالية إلى حد الاكتمال من حيث الحرية و المساواة[6] و الأفكار الإنسانية جاءت لمقاومة الصراعات و قد ظهرت كحركة تلقائية إيديولوجية و من أجل تقدم البشرية و منح روح الحرية في كامل الشعوب،

1)– مصطفى، حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص 621

2)– John dewey, démocratie et education, les premiers des impremeries delmars, 1983, page 335

3)– ديدله، جوليا، مرجع سابق ، ص 496

4)– مصطفى، حسيبة، المعجم مرجع سابق ، ص 104، ص 585

5)– John dewey, démocratie et education, page 331.332

6)– كميل، الحاج، مرجع سابق ، ص 544

كما يعد المذهب الإنساني حركة اشتراكية تحاول جاهدة توفير الظروف لرقي الإنسان، و سمو قيمه و بالتالي فالمذهب الإنساني حركة ثقافية تأخذ بسمة المساواة[1]، و ما لبث أن أخذ معنى المذهب الإنساني معنى جديد فمثلاً نجد في أمريكا بعض الإنسانيون الدينيون أي من الذين يهتمون بالشؤون الدينية و المعتقدات الإلهية يرون في هذا المذهب أخلاقًا خالصة مستوحاة من مذهب ديني و في سنة 1952م ظهر ستة من دعاة المذهب الغربي و هم "**إرزم، فولتير، جوته، نتشه، سبتلر** و **يلكه** يمثلون أوجه مختلفة تناسب المذهب الإنساني الأوروبي ألفه **جان إدوار سيبنليه**[2]" و جاءت أفكارهم متقاربة في بعض المصالح الإنسانية و منها:

- الاهتمام بالإنسان صاحب الإرادة و بعث القيم في الحياة الإنسانية من أجل إرساء التقدم، و الدعوة إلى الاستمرارية و الدفاع عن الكرامة و الحرية الفردية
- الإعلاء من سلطان العقل و تدمير كل محاولة تقوم على الجمود و التعصب
- التأكيد على طرق التربية و بعث الثقة في الطبيعة الإنسانية[3]

إن النزعة الإنسانية تعددت و أخذت أشكالاً متنوعة، و في جميع الميادين و خاصة الخلقية و الدينية منها، كما ارتبطت هذه النزعة بالعلم و المجتمعات و المذاهب المختلفة، و أبرزها المذهب البرجماتي و من أهم المميزات الإنسانية التي اتسمت بها العصور الحديثة و المعاصرة هو تمثلها في:

النزعة الإنسانية الدينية: عارض ممثليها الدينيون المذاهب المسيحية التقليدية لأنها في نظرهم تجمد العقل الإنساني و تقلل من قيمته، و الدين في نظر هذه النزعة هو نشاط و حركة مبدأها الإعلاء من سلطان العقل، و تجميد القيود التي تقوم على كل تعصب، و ذلك للرفع من مبادئ الاتجاه الاجتماعي[4]، و لكن في علم الأخلاق نجد أن المذهب الإنساني يؤمن بمستقبل الإنسانية و ذلك من أجل الارتقاء بحيث تتغلب على بعض

1)– ل.م، روزنتال، ب. بودين، الموسوعة الفلسفية (وضع لجنة من العلماء الاكاديميين السوفياتيين)، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط2، 2006، ص 468، 469

2)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 97

3)– مصطفى ،حسيبة، مرجع سابق، ص 585

4)– هنترميد، مرجع سابق ، ص 408، 409

المشاكل الطبيعية و عن طريق النظام المثالي سواء في الميدان السياسي أو الاجتماعي[1] و لابد للإنسان صاحب النزعة الطبيعية أن يساهم في تكوين مجتمعًا مثالي عن طريق قدرته الفعالة، و اجتهاده في العمل و التي هي محور حياة كل إنسان، هذه الحياة هي المفر الوحيد الذي نراه النزعة الإنسانية ما دامت تتحدد بضوابط اجتماعية، حيث تبني أهم القيم الخلقية للنزعة الإنسانية و كذا منطق العلاقات في المجتمع قواعد ذات معيار واحد متمثل في تقدم الإنسان وسط بيئته بدلاً من معيار مزدوج يدعو إلى اختلال الضوابط الاجتماعية[2] و لقد جعل **جون ديوي** الفلسفة مهمة إنسانية قلبًا و قالبًا نحكم عليها في ضوء تأثيرها الاجتماعي لأن التفلسف عنده طريقه من طرق التفلسف الإنساني تقدر قيمة في ضوء مواجهته للظروف[3]، و بذكرنا **جون ديوي** ذلك الإشكال الذي وقع بين الشؤون الإنسانية و علوم الطبيعة حيث يرى "أنه و إلى يومنا هذا هو اللجوء إلى توافق اصطناعي ما بين العلوم التي تتخذ من الطبيعة موضوعًا لها و تلك التي تدرس الإنسان، إن هذه الوضعية تعطينا مثالاً ينضاف إلى تنظيم (منظمة) المثل التربوية التي تشكل بعيدًا عن هذه المثل، و جلب الأنظار إلى فلسفة العلاقات بين الطبيعة و الشؤون الانسانية"[4]، و هنا يتضح نوع آخر من النزعة الإنسانية إذ نجد أنها مرتبطة بالمذهب الطبيعي و المثالية، و لكنها تختلف فيما بينها لأن صاحب النزعة الإنسانية يرى في الحياة بساطة بحيث يكتفي لما يتاح له، و بالعلم يتعرف على الكون و المنهج الذي يسير عليه، و على هذا الأساس يمنحنا العلم جانبًا إنسانيًا نراه في أيه معرفة تستوحي أفكارًا إنسانية من مصار علمية دقيقة[5] لهذا نرى بلوغ الإنسانية قمة التطور و الرقي بسبب العلم الذي منبعه العقل البشري المفكر الذي زعزع أركان العالم و خاصة قيود العصر الوسيط من أجل إعلاء سلطان العقل و الرفع من شأن العلم[6] فلقد اعتبرت وحدة العالم و وحدة الشخصية الإنسانية من أهم الخصائص التي

---

1)– كميل، الحاج، مرجع سابق ، ص 544

2)– هنترميد، مرجع سابق ، ص 412، 413

3)– محمد، عابد الجابري، الحضارة المعاصرة من الضرورة إلى الصيرورة، دار الفرقد للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص 61

4)– John dewey, démocratie et education, , page 331

5)– هنترميد، مرجع سابق ، ص 414

6)– محمد، عبد الحفيظ، الفلسفة مرجع سابق ، ص 05، ص 10

اتبعتها البرجماتية، و كذلك في احترام الإنسان و محاولته إصلاح المجتمع، و هذا من أهم ما أكد عليه جون ديوي و ذلك لاستمرار رقي المجتمع و تطوره[1] بالتفاعل مع البيئة كون الإنسان قابل للاكتساب في مجال الخبرة و التعلم بحيث تكون الطبيعة الإنسانية سهلة و واضحة سواء في النشاط الاجتماعي أو السياسي، و هنا يختلف البرجماتيون عن الواقعيين و المثاليون[2] لأن العمل الإنساني كما يرى **تشارلز موريس** هو بالتأكيد موضوع اهتمام رئيس، و على الرغم من ذلك فإن هذا الاهتمام لا يتركز على حركة أو نشاط على سبيل المثال كما أنه لا يتعلق بأية تأثيرات للأفكار على الحياة الإنسانية فضلاً عن عدم تعلقه بأية نظرية كاملة عن الطبيعة الإنسانية، إنه يرتكز بصفة مبدئية على جانب واحد من السلوك الإنساني[3].

و هنا تواجه البرجماتية موضوع الإنسانية في مقابل العالم و الواقع الخاضع للعقل و التجربة لفهم العالم الإنساني على يد أبرز ممثليها و هما **فرديناند شيلر** و **وليم جيمس**[4]، و على حد تعبير إميل برهييه "أن الذرائعية تعين على الوجه المناسب المنهج الإنساني للبلوغ إلى الحقيقة، فترى فيها على العكس شيئًا فرديًا و عينيًا[5]" و على غرار هذا القول يتضح أن الإنسانية عند البرجماتيين ذات صلة وطيدة بنظرية الصدق، و هي تجعل من الإنسان قيمة و في نفس الوقت معيار للنجاح باعتباره كائن بيولوجي متطور في نظرهم خاضع للتجربة و بإرادته يخلق قيمه الخاصة به، و لمعرفة أهم الجوانب المضيئة في الفلسفة البرجماتية الإنسانية، كان لزامًا علينا أن نتعرف على أهم رواد هذه الفلسفة لا من حيث التأسيس، و لكن من حيث التطوير و الأخذ بمشروعية هذا الموضوع. و بما أن الفكر البرجماتي الأمريكي كان على اتصال مباشر و مثله الأمريكي **وليم جيمس** و البريطاني **فرديناند شيلر** و لمعرفة مشاركتهم الفكرية فلابد من عرض موقفهم عن الإنسانية و الصدق.

1)– فوزية، علي البدري، التربية بين الأصالة و المعاصرة، مفاهيمها، أهدافها، فلسفتها، دار الثقافة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص 231

2)– ابراهيم، محمد عطا، عبد الله بن ابراهيم حافظ، فلسفة المناهج، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د(ط)، 2005، ص 75، 76

3)– تشارلز، موريس، رواد الفلسفة البرجماتية، ترجمة: ابراهيم مصطفى ابراهيم، ص 25، 26

4)– محمد، سليمان حسن، دراسات في الفلسفة الأوربية، دار علاء الدين للنشر و التوزيع، دمشق، ط1، 1998، ص 46

5)– إميل، برهييه، مرجع سابق ، ص 162

الفصل الثاني

مفهوم النزعة الإنسانية عند فرديناند شيلر و وليم جيمس

- **المبحث الأول: شيلر و المذهب الإنساني بين التأسيس و التطبيق**
  - **المطلب الأول:** تأسيس فكرة الإنسانية
  - **المطلب الثاني:** قيمة الأفعال الإنسانية و تأثيراتها على الواقع البرجماتي
- **المبحث الثاني: مفهوم الإنسانية عند وليم جيمس**
  - **المطلب الأول:** أثر المنفعة في النزعة الإنسانية
  - **المطلب الثاني:** ربط الإرادة بالإنسانية
- **المبحث الثالث: المكانة الأخلاقية للمذهب الإنساني**
  - **المطلب الأول:** التركيز على تصور الإنسانية عند شيلر
  - **المطلب الثاني:** دور العقل الإنساني في إحياء الصدق و النجاح

المبحث الأول: شيلر و المذهب الإنساني بين التأسيس و التطبيق

المطلب الأول: تأسيس فكرة الإنسانية عند فرديناند شيلر

عرفت الفلسفة البرجماتية ازدهارا كبيراً على يد مجموعة من المفكرين و تحت تأثيرات مختلفة بين البلدين إنجلترا و أمريكا، فالفلسفة البرجماتية قد ظهرت في بريطانيا تحت تأثير **جيمس** من جهة، و علم النفس الجديد المعارض للمذهب الترابطي، و الذي دافع عنه أي عن ذلك التيار الجديد، و ازدهر التيار على الخصوص في أمريكا و في إنجلترا، و لكن لم يقتصر ظهوره على هذين البلدين و كانت الأفكار قد بدأت في التوجه نحو إسم **شيلر** عام 1891م، و لم يبدأ بالإعلان عن كونه برجماتيًا بالمعنى الكامل إلا عام 1903م، و لكنه يسمي البرجماتية باسم آخر و هو النزعة الإنسانية[1] لقد طبع **فرديناند شيلر** هو الذي طبع البرجماتية بطابع إنساني من خلال اتصاله بالمذهب الإنساني الكلاسيكي و الذي عرف تطور مع بداية عصر النهضة و ذلك في التخلص من جمود العقل فقد كان **شيلر** من الآباء الأوائل الذين نقلوا البرجماتية إلى إنجلترا بمساعدة طائفة من المفكرين[2] و قد اشتغل **شيلر** بالأبحاث و المجالات الكثر تخصصًا المنطقية و النفسية، و الإبستمولوجيا، و خلال هذه الأبحاث وجد نفسه يزداد اقترابًا بالتدرج من الموقف البرجماتي. و قد وصل إلى هذا الموقف في جميع النقاط الأساسية في مقاله الرئيسي "البديهيات بوصفها مصادرات" و هو المقال الذي ظهر سنة 1902م، و قد يتضح أن **شيلر** لم يتبن الأفكار البرجماتية بسهولة و منذ الوهلة الأولى التي كان في اتصال دائم مع البرجماتية الأمريكية و بالأخص مع جيمس، إلا بعد دراسة معمقة حول الأفكار و ارتباطها بمصالح الإنسان[3]، و بدلاً من أن ينظم **شيلر** إلى المقولات الكنطية، و الحقيقة الضرورية الأولية، نقدًا تاريخيًا و سيكولوجيًا و تكوينيًا" و ينظر إليها كمحققة بالتجربة و بالصراع التطوري اعتبرها "كمشكلات الذهن الفلسفي" فهي أولية بمعنى أنها ليست ثمرة

1)– إ.م، بوشنسكي، مرجع سابق ، ص 160

2)– اسماعيل، الشرفا مرجع سابق ، ص 179

3)– رودلف، متس، مرجع سابق ، ص 22، 23

جزئية هي "مطالب" مسلمات يضعها الكائن العضوي حيث يؤدي وظيفته على العالم ككل[1] و عن طريق هذه المشكلات الفلسفية وجد فيها **شيلر** معاني إنسانية، فوسع من فكرة البرجماتية باعتبارها تهتم بالشخص الإنساني من حيث عمله و مصالحه بحيث كانت نظرة **شيلر** البرجماتية الأمريكية نظرة إيجابية، و بفضلها عرف شهرة في الفلسفة المعاصرة على أنه زعيم البرجماتية في إنجلترا[2] كما استمد **شيلر** أفكاره من النزعة السفسطائية و التي يتزعمها **بروتا غوراس** الذي أقر بأن الإنسان مقياس الأشياء جميعًا، و كفلوا الإنسان استقلال التفكير، و هذا ما اتخذه **شيلر** حين ربط بين معرفة الإنسان و حياته، بحيث رفض هو كذلك التفكر في الميتافيزيقيا و نبذ كل محاولة قيامها النظر العقلي التجديدي[3] و لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو لماذا النزعة الإنسانية؟ باعتبار **شيلر** مؤسسًا للأفكار الإنسانية فلا شك أنه كان يعتقد أن كل الأفعال و الأفكار هي من صنع الإنسان و ما ينتجه من عمل و تسيير أفعاله و حاجاته لابد و أنه يتقيد بقوانين سماها **فرديناند شيلر** بالبديهيات كي يتسنى للفكر الإنساني القيام بأهداف واضحة ذات قيمة إنسانية[4] في تأكيده الصريح على أن جميع المعتقدات و النظريات لا تؤدي بنا إلى الحقيقة إلا إذا كانت تحمل معها بعض القيم الإنسانية، و هنا تتوافق هذه الأفكار مع البرجماتية و مميزاتها إلى درجة كبيرة[5].

إن ما حمل في الظاهر **فرديناند شيلر** على الأخذ بمذهب متشابه لمذهب **جيمس** يطلق عليه المذهب الإنساني هو أخطار الواحدية المطلقة المثالية عندما يراد وضعها موضع التطبيق العملي، فالاعتقاد بالطابع الوهمي العمل يؤدي إلى الطمأنينة، إن الواحدية المطلقة تنهض على خطأ على الضرورة مزعومة توجب ألا يتصور أي وجود واقعي إلا على أنه جزء من كل[6]، و أعلن **شيلر** أن منهجه الذي يقوم على الفكر الإنساني يشبه

1)– هربرت، شنيدر، تاريخ الفلسفة الأمريكية، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، مكتبة النهضة المصرية للنشر، القاهرة، د(ط)، 1964، ص 351
2)– عثمان ،أمين، مرجع سابق ، ص 92، 30، 31
3)– اسماعيل، الشرفا، مرجع سابق ، ص 179
4)– عبد الرحمن، بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق ، ص 4
5)– محمد، مهران، محمد، مدين، مرجع سابق ، ص 72
6)– إميل برهييه، مرجع سابق ، ص 162

"البروتاغورية" كتحديد واع للنسبية النقدية، و شعار **بروتاغوراس** في نظرة ثمرة تجربة إنسانية زاخرة و هذه الحركة الفكرية التي استهلها السفسطائيين وسيلة فعالة في بناء إنسانية **شيلر** التي تقاوم الحذاقة و التكلف[1] و التي ينبذها الزعيم السفسطائي **بروتاغوراس**[G] الذي نطق بالحق أكثر من **أفلاطون**، و يلوح أحيانًا أن **شيلر** يدنو غاية الدنو من الأنانة لكن مذهبه ضرب من ميتافيزيقيا للتطور علمًا بأنه يفهم التطور فهمًا مغايرًا جدًا لفهم **سبنسر**، إذ يرى فيه مسارًا واقعيًا وحيد الإتجاه لعالم ناقص باستمرار يتمم نفسه بمبادرات شخصية، و يسلم **شيلر** على أي حال بضرب من خلاص نهائي، و بتساوق كلي، و بإله شخصي و أوحد، و البند الرئيسي "للمثالية الشخصية" Personnal idealism تضمن برنامجًا مشتركًا بنداه الرئيسيان "كل فكرة ينبغي أن تختبر بالاحتكاك مع الواقع و كل فعل هو فعل شخصي[2]، و قد شرح **فرديناند شيلر** و برهن على أراءه في مقاله "لماذا المذهب الإنساني؟[3] الذي لعب دورًا كبيرًا و ترك أثرًا واضحًا على كثير من الفلاسفة".

1)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 49

*)– **بروتاغوراس Protagoras (481–411 ق.م)، فيلسوف يوناني من زعماء السفسطائية، اشتهر بأنه معلم الخطابة و البيان، عمل في مدن كثيرة له كتاب بعنوان "عن الألهة"، كتب في المنطق و الأصول الثقافية و السلوك البشري**

2)– إميل، برهييه، مرجع سابق ، ص 163

3)– كميل، الحاج، مرجع سابق ، ص 324

المطلب الثاني: قيمة الأفعال الإنسانية و تأثيراتها على الواقع البرجماتي

إن من أهم التعاريف التي قدمها **شيلر** للمذهب الإنساني، و كمقدمة كبرى تخص الفلسفة و الطبيعة الإنسانية و هو إدراك ان المشاكل التي تخص الإنسان في مجال الفلسفة، و في إطار التجربة كونها إنسانية تهتم بالإنسان كهدف سيمد إليه الذكر و المعرفة. و لفهم المذهب الإنساني أكثر دقة يمكن إضفاء عنصر الهدف كنتيجة إيجابية تجعل من الإنسانية و البرجماتية منهجان متشبهان و ينادي **شيلر**[1] بأن تكون الميتافيزيقيا و المنهج الميتافيزيقي عينية، و أن تبنى على أساس من العلوم الدقيقة و التجربة البشرية. و فيما بعد يقول متمشيًا مع هذا الرأي "إن تفكيري كله ينبغي بالضرورة أن يكون على صورة الإنسان و أن حقيقة النا الشخصي هي حقيقة الحياة كلها، و إن الفرد مفتاح لغز العالم[2]" و موقف **شيلر** هذا عن الماورائيات أن فكرته التي تقوم على رفض هذا الأخير أي رفض كل تفكر و تأمل نظري في الكون تشبه إلى حد غير بعيد فكرة مذهب اللاإرادية[G] التي ترى في الميتافيزيقيا أمرًا غير نافع، و مادام **شيلر** يرى بأن الميتافيزيقيا وجود لا مادي فلماذا يخضعها إلى التجربة؟ و مما لا شك فيه أنه يقع في تناقض فكري لكن الميزة التي أراد بها **شيلر** للإنسان خلال تفكره هو أن يكون على علم بأي مشكلة فلسفية، و مدرك لما سيواجهه، حينما يبذل ما في وسعه بإرادته للتخلص من العوائق مستندًا في ذلك على التجربة الإنسانية كي يتسنى لأي معترض فلسفي أن يكون هادفًا إلى إنشاء فلسفة خالصة، فلسفة إنسانية تخص مصلحة الفرد وحده، و دون تفكر نظري حول البحث في الكون، و معرفة الواقع حيث يحتل فيهما الإنسان مكانًا مرموقًا بملكاته العقلية "و إرادته الفولاذية و وجدانه و اعتقاداته و إحساساته الإنسانية"[3].

و لم تظهر النزعة الإنسانية عند السفسطائية فقط بل ظهرت أيضًا عند أتباع مذهب اللذة، و تكون القيم الإنسانية في نظرهم بإشباع الإنسان لرغباته الطبيعية، و الإنسان الكلي هو الذي يغيب به **شيلر** و غيره من

---

1)– محمود ،فهمي، زيدان، مرجع سابق ، ص 181

2)– رودلف، متس، مرجع سابق ، ص 20، 21

*)– اللاأدرية **Agnosticism**: مذهب يرى بأنه ليس من الممكن بلوغ المعرفة عن الموضوع، هو الله عادة و قد نعت "توماس هكسلي" هذا المصطلح ليدل على جهل و إرجاء حكم فيما يتعلق بالمشكلات النهائية

3)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 48

البرجماتيين أما السفسطائية فكانت تقصد بالإنسان الفرد كمعيار يأخذ به السفسطائي و البرجماتي في آن واحد[1] سواءاً من حيث المصير الذي يحمل قيمة من القيم الإنسانية و بهذا الصدد نجد أن **شيلر** يأخذ بمعالم السفسطائية التي أقرت بوجود خبرة حسية، و أكدت على النسبية في كل شيء[2] و على هذا الأساس منح **شيلر** للبرجماتية و الإنسانية معنى واحد، و منحى يمشي على نفس المنهج سواءاً في المعرفة أو الأخلاق أو الدين و غيرها و لكي تصبح البرجماتية و الإنسانية أكثر وضوحًا و دقة لابد من معرفة الحقيقة أو الصدق و الوصول إليها[3]. إنها مسألة تتدرج في إطار المعرفة الإنسانية و لكن ليست وحدها الكفيلة في أن تحصل للنفس البشرية الطمأنينة، بل وجب مسألة أخرى و هي مسألة الإعتقاد كموقف روحي يتواجد بين علم النفس و علم المنطق. و موقف آخر كونه موقف ترحيب كموقف يتخذه الإنسان في محاولته كشف الحقيقة، و هي مهمة فعالة في كشف الإرادة، و الشك في قضايات كضرورة نسلم بها لتحقيق حياة أفضل[4] و هي في هذا الصدد يذكرنا جيمس عند صديقه **شيلر** يقول و على أية حال **فشيلر** يطبق القياس على المعتقدات و يقترح إسم "الإنسية" للدلالة على المذهب القاضي بأن حقائنا الدارجة لا سبيل على التثبت منها، هي أيضًا نتاج من ضاع الإنسان، فالحوافز الإنسانية تندس في طوايا كل إجاباتنا، و كل قواعدنا لا تخلو من ميل إنساني، لا يخلو من عرج على نحو ما و هذا العنصر مبهم و معقد في النتاجات لدرجة أن **شيلر** يكاد يترك المسألة قضية مفتوحة[5].

اتخذ **شيلر** بعض الأفكار لدينية و الصفات الإلهية و التي يتصف بها الرب و هو أنه متناه و مبدأ كل خير، كما أن العقيدة الدينية تشكل مصادرات في مضمونها شرط أن يكون فيها الإنسان الديني واثقًا و متيقنًا بما ينفعه تجاه إيمانه الإنساني بالله[6]، و لا يمكن أن يكون الرب هو الواحد، و ليس هو الطبيعة أو العالم و إنما مجرد

1)– هنية، مفتاح، القماطي، نظرية القيمة عند كلينرس لويس، كلية الآداب، جامعة بن غازي، فا يونس، ط1، 2001، ص 99، ص 105
2)– ابراهيم، مصطفى ابراهيم، نقد مرجع سابق ، ص 44، ص 77
3)– محمود، فهمي زيدان، وليم جيمس، مرجع سابق ، ص 178، ص 181
4)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 66، 67، 68
5)– وليم ،جيمس، البرجماتية، مرجع سابق: ص 383، 384
6)– عبد الرحمن، بدوي، مرجع سابق ، ص 25

فرد واحد ضمن أفراد كثيرين، و من شخصية الله و فرديته يستدل **شيلر** على تناهيه، و أن هذا الإله المتناهي في علاقته مع العالم. و يقمع باستمرار التقدم[1] هذا الوصف الذي منحه **شيلر** لله، و الذي يتمثل في كونه متناه، و كأن شيلر يرى في الله صفة الإنسان، و من ثم يجعل الله و الإنسان ذلك الموجود الأعظم في نظره أن كليهما واحد، و متشابهان في بعض الصفات، و هنا يدخلنا **شيلر** في إلحاد كبير، لذا ما يهمنا هو أنه سمى برجماتيته نزعة إنسانية، سماها هكذا من أجل التأكيد على القيم التي تنطوي عليها النظريات و المعتقدات بحيث تصبح صادقة، و أن يكون في مدلولها معنى[2] ذا تبرير نافع لتحقيق كل غاية يصبو إليها الفرد، الذي يستعمل صورة ذهنية و يختار أسلوبًا يستدل به في جميع مناحي حياته[3] أي في معرفة عالمه و نشاطه أثناء قيامه بأي عمل يخضع للتجربة و على أرض الواقع حيث يمارس حريته في كامل قواه الفكرية و أن يتخذ من لتجربة الإنسانية كبداية و غاية لكل نظر عقلي حينها يكون الفكر فرديًا، و الحق متعاليًا بحيث يتنافس مع المذهب الوضعي، و الاهتمام الإنساني هو في التسليم بأن المعرفة و التي يراها **شيلر** إنسانية لابد و أن تكون متطابقة لحاجات الإنسان[4] موجهة نحو منفعة محددة في مختلف المعارف و تحقيق كامل الأغراض و التي تقوم بتلبيتها، بعيدًا عن كل تأمل نظري. هاته المعرفة يمكن أن تكون ذاتية و موضوعية و لكن من أجل بلوغ قيمة صادقة خلقية فعالم الإنسان و عقله و حريته و منطقه و تجربته في الواقع تعد معارف إنسانية.

اشترط **شيلر** أن يكون العمل المنتج مبدأ اول لكل معرفة، و التي هي إنسانية في حد ذاتها، و غرض حيوي يتحقق أمرًا إنسانيًا[5] بوجود غايات تفترض الحياة العقلية التي هي في نظر الإنساني حياة غائية بالسعي

1)– رودلف، متس، مرجع سابق ، ص 21، 22

2)– جون ،هرمان، راندال، جوستاس بوخلر، مرجع سابق ، ص 158

3)– سعيد محمد، عثمان، القاموس الميسر في العلوم الإنسانية، عربي إنجليزي و بعض المقاييس و الإختبارات النفسية و أعلام الفلسفة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د(ط)، 2008، ص 560، 561

4)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 50، 513

5)– كميل، الحاج، مرجع سابق ، ص 324

6)– عثمان ،أمين، مرجع سابق ، ص 51، 52، 53

العقلي و الإرادة خلافًا للدهريين كما يتدخل المزاج في ابتداع الميتافيزيقيا[1] و في هذا الصدد يذكرنا جيمس بقول **شيلر** عن نظرته للكون قائلاً: "أن العالم بالضرورة هو ما نضعه، و إنه لعبة لا طائل فيه، أن نفسره بما كان عليه أصلاً، و بما هو كائن معزولاً عنا، إن العالم هو ما يتكون منه، و ما يضع منه ... و من ثم... فإن العالم عجيني لدن"، و هو يضيف إلى ذلك أن في وسعنا أن نتعلم حدو المرونة و العجينة بالمحاولة فقط، و أن لزامًا علينا أن نبدأ كما لو كان العالم عجينًا مرنًا برمته، و أن نتصرف منهجيًا على أساس هذا الغرض، و ألا نتوقف إلا عندما تزجر قطًا، هذا هو بيان **شيلر** للموقف الإنسي[2]. و موقفه هذا عن العالم و الإنسية يوضح أن الإنسان هو الذي ضع عالمه بإرادته و عقله الفولاذي، كما ساهم في بناء وجوده، و لكن خارج التجربة لأنه وجودًا في ذاته و ليس لذاته، و أعلن **شيلر** "أن كل تجربة من حيث هي كذلك واقعية لا سبيل إلى وصول الإنسان إلى حقيقة قصوى ما لم يستند إلى هذا الأساس"، و هاته الأفكار التي هي من إنسانية **شيلر** نجد أنها كذلك أو نفسها تصدق على برجماتية **وليم جيمس**[3] و حين نتحدث عن المبادئ الولية "المنطوية في وجود المعرفة فهل هي منطوية منطقيًا أو سيكولوجيًا، و حين نحاول أن نجني ثمرة التجربة ككل يجب أن نضع أنفسنا فوق التجريدات المميزة لتصنيف سيكولوجي تجاوز حدود مشروعين و بتصور البديهيات كمسلمات في جوهرها ترتبط في النهاية بغاية عملية.

نحن نتصور البديهيات ناشئة من حاجة الإنسان كعميل تنشطها رغباته و تعززها إرادته، و في كلمة تغذيها و توقدها طبيعته الانفعالية الإرادية[4] بمعنى أن كل خبرة تنطوي في ذاتها على الواقع الذي يعيشه الإنسان و بإرادته يجعل هذه الخبرة خاضعة له[5] و ما دام العقل مرشد للحياة من كل جوانبها بحيث يستدعي كامل ما في طاقته أن يحل العوائق التي تواجهه، فيقاس كل فرد على حسب إرادته و معارفه و بالتالي يمكن أن يكون الفكر

1)– وليم، جيمس، البرجماتية، مصدر سابق ، ص 284
2)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 76، 77
3)– هربرت، شنيدر، مرجع سابق ، ص 351
4)– خلف ،الجراد، مرجع سابق ، ص 137

و الإحساس يلازمنا معرفتنا و يكتمان فينا، فهما معياران بهما يتطور و ينمو العالم و هذا تحقيق للمثل الأعلى الإنساني و نجده في المعايير الإنسانية بدرجات متفاوتة[1] يقول **جيمس** "بأن المستر **شيلر** يقر بأقصى ما في طاقة أي إمرئ من إطناب و توكيد بوجود العوامل المقاومة في كل خبرة واقعية من عمل الحقيقة التي يجب على الحقيقة الخاصة المصنوعة جديدًا أن تدخلها في حسابها، و الجزء الأول من الواقع من وجهة النظر هذه هو جريان أحاسيسنا و تدفقها[2] يؤكد **شيلر** في موقفه هذا عن تواجد العوامل التي تساهم في عمل التجربة الإنسانية للوصول إلى الحقيقة و التي تعود علينا بالنفع، و يستدعي **شيلر** هنا عامل أساسي و هو ارتباط علم النفس الذي تجري فيه أحاسيسنا بالواقع و المنطق الذي يعد هو كذلك إنساني بعيدًا عن كل ما هو مجرد مصطنع، و هذا ما نجده عند "**ألفريد سدجويك**" في دعوى إصلاحه للمنطق، و قال "أن كل التركيبات المنطقية إنما عي نواتج لوظائف نفسية"[3].

رأى **شيلر** أن المنطق التقليدي الذي نادى به أرسطو و فلاسفة سابقين لا يتناسب مع الحياة، و يتعارض مع الحقيقة، و يستبعد واقعية الإنسان، لذا يجب على المنطق ما دام هو محور كل فكر إنساني، أن يكون نظرية صحيحة في الواقع و لابد لإرادة الإنسانية أن تشارك في عملية المنطق هذا كي يكون منطقًا إنسانيًا محظًا[4]، و ذلك فالنمط الذي يشكل فيه **شيلر** المنطق البرجماتي يشك **جيمس** في قيمته و قد اهتم **جيمس** بالنزعة الذاتية، اهتم **برادلي** و **رويس** و مثاليون موضوعين آخرون، كما واجه بيرس العلماء و الطبيعيون و من ثم كان على جيمس أن يحذ من تعريف العملي تعريفًا علميًا مسرفًا[5] هذا يوضح أن **شيلر** قد وسع من المنطق و جعله برجماتيًا إنسانيًا، و هنا اختلف عن المثاليون أمثال **برادلي** و **بوزنكيت** و **رويس**، و حتى البرجماتيين أمثال **بيرس** و **شيلر**، و هنا اختلفت و تعددت معالم البرجماتية كما انتهت المثالية في نظر جيمس لأنه رأى في المعرفة حالات من

1)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 19، 20، 21
2)– وليم، جيمس، البرجماتية،مصدر سابق، ص 285
3)– ابراهيم مصطفى، ابراهيم، مرجع سابق ، ص 74
4)– عثمان، أمين، مرجع سابق)، ص 60، 61
5)– هربرت، شنيدر، مرجع سابق ، ص 353

الوجدان، و هنا تشتت للذهن و لروح المعرفة، و من مسلمات الحياة و التعقل المعنى meaning الذي درس في المنطق و علم النفس حيث يسعى المنطق على الإلحاح بأهمية القيم الصحيحة للمعرفة الواقعية، و في مؤلف **شيلر** و كتاباته عن "منطق للاستعمال" استعاض عن "المذهب الإنساني" "بالمذهب الإرادي" و ذلك من أجل توضيح التعارض القائم بين منطقه الذي يترتب عنه أحكام شخصيته و معان و المنطق القديم الذي يقوم على الألفاظ و القضايا العملية[1] و هاته الفاظ في المنطق الصوري هي تلاعب من وجهة نظر **شيلر**، أما المنطق فيريد به خدمة متطلبات البشر و حاجاتهم، و يكون بذلك منطق على أساس بيولوجي[2].

وجه **شيلر** الكثير من الانتقادات إلى المناطقة الصوريين، لأنه يرى أن منطقهم لا يحقق غاية إنسانية في اختباراتنا لطرق الاستبدال، و التحقق من صدق القضايا، و باستعمال الصور الذهنية من أجل تبرير وجود واقعي إيجابي، بحيث يدرك فيها الإنسان مقياس كل منفعة[3] "فالمنطق عند **شيلر** شيء إنساني و عليه أن يخدم الإنسان لأنه أداة فعلية، و متعينة من أجل العمل، و يرى **شيلر** أن مبدأ الذاتية و مبادئ المنطق الأخرى التي يقال أنها مبادئ مطلقة هذه المبادئ كاذبة"[4]، أي أن المنهج الإنساني يؤدي بنا إلى إدراك الحقيقة باعتبارها أمر شخصي، و ما دامت العلوم كالمنطق و الهندسة و الحساب من صنعنا فلابد و أن تكون متجلية بالإنسانية[5] بينما بينما المنطق الذي يستبعد التفكير الحقيقي و يستبعد العنصر الإنساني بالتجريد ينحط إلى مرتبة التعامل اللفظي العقيم الخالي من كل معنى، و لكن الإنسان بوصفه خالق الحقيقة، و كذلك المنطق لا يمكن أن يسمح لنفسه بأن يظل إلى الأبد سجينًا لشيء خلقه ذهنه هو، و على ذلك فإن أهم الأمور و ألزمها هو إيجاد مكان للإنسان من جديد في نظرية المنطق و الحقيقة[6] بمعنى أن **شيلر** يوضح لنا أن منطقة الإنساني هذا ذا صلة وطيدة بالحقيقة،

1)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 64، 65
2)– عبد الرحمن، بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق ، ص 25
3)– كميل، الحاج، مرجع سابق ، ص 324
4)– إ.م، بوشنسكي، الفلسفة مرجع سابق ، ص 161
5)– كميل، الحاج، مرجع سابق ، ص 325
6)– رودلف ،متس، مرجع سابق ، ص 27

و بها تتحقق كل قيمة عكس المنطق الصوري الذي يخلو من بعض الجوانب كالصدق، و في موقفه هذا يجعل **شيلر** الإنسان سببًا و مسببًا يشرح به جميع مبرراته، و يعلق كل آراءه عن العلوم، بإرادة الإنسان و احتلاله أعلى المراكز و لكن بدرجات متفاوتة من ناحية القيم، و كأن **شيلر** لا يتكلم عن إنسان قديم و يحط من شأنه، و هنا يضطر جليًا عدم إقرار **شيلر** بمجهودات الماضي، ما دام يرى أن منطقه جديد، عكس صديقه **وليم جيمس** الذي يصرح في كتابه عن البرجماتية أن جميع أفكاره مستوحاة من أفكار سابقة.

و لكن مع ذلك لا يمكن أن يستهون كذلك بفكر **شيلر** البرجماتي الإنساني في تفسيره للمنطق و الذي خصصه في العديد من كتاباته و جهوده[1] و إذا وسع **شيلر** من مجال الإنسانية، و صبغ جميع المعارف بها، و استدرج الحرية إليها بحيث أنها موجودة بوجود الإنسان الذي في وسعه أن يؤكد على مجرى هذه الحرية في الواقع، و كأمر ينسب إلى جميع الأشياء درجة من عدم التجدد في عالم متغير و مستمر يبحث عن الارتقاء، كأمل متفائل و إنساني[2] أي أن مشكلة فلسفية تكون ذات علاقة وطيدة بالإنسان، و الواقع و التجربة من أجل حل و معالجة أي مشكل بصفة إنسانية تقودنا إلى النفع و التغير و الدعوة إلى التجديد[3] أساس كل نشاط إنساني عند **شيلر** بالاستناد إلى الأهداف، و هي فكرة أساسية لتحقيق الغايات، و الأخذ بمصداقية الأعمال و نتائجها كمعيار معرفي مقوم للفرد و الحياة[4].

1)– خلف، الجراد، مرجع سابق ، ص 137

2)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 86، 87

3)– علي ،عبد الهادي، المرهج، مرجع سابق ، ص 19

4)– خلف، الجراد، مرجع سابق ، ص 137

المبحث الثاني: مفهوم الإنسانية عند وليم جيمس

إن فكرة **شيلر** عن المذهب الإنساني قد أثرت تأثيراً بالغًا على الخلاق البرجماتية، فلقد تركت أثرًا واضحًا على كثير من المفكرين، و قد تبع روح الإنسانية هذه **وليم جيمس**. و اتخذ هو كذلك رأيًا و موقفًا خاصًا به، و امتدت أفكاره عن الإنسانية إلى فلسفات أخلاقية سابقة، و كان التركيز على المنفعة هو سبيل الوصول إلى رقي الإنسان و سعادته و كذا الوصول إلى نتائج أعماله هذا ما فسره **جيمس** للإنسان و الإنسانية.

المطلب الأول: أثر المنفعة في النزعة الإنسانية

عرفت النزعة الإنسانية حركة فكرية من خلال الحضارة الغربية، و التي تمثلت بذلك التواصل الفكري، و على سبيل المثال نجد أن البرجماتية اهتمت بواقع الإنسان، و الذي كان يدور بالخصوص بين البلدين إنجلترا و أمريكا، هذا الواقع الذي يتواجد في العالم، يكون الفرد فيه محوراً في الفلسفة، و بعقله يمارس عمليات تجريبية تدفعه إلى معرفة الصحيح و النافع و هنا تتدخل عملية الأنسنة في عملية فهم العالم[1]، و لمعرفة مدى اصطباغ النزعة البرجماتية بالنزعة الإنسانية يمكن أن نتخذ موقف و آراء وليم **جيمس** و مدى تأثره بإنسانية **شيلر**، و ما سبقه من إنسانيين أمثال السفسطائية، و تأييد **جيمس** للإنسانيين الذين رأوا في الدين بعض الجمود، و سلط الضوء هو كذلك على وجود قوى في الإنسان قادرة على تحقيق التطور، و بها يمكن أن نستغني عن البحث في وجود الإله[2] فما نوع الإنسانية عند **جيمس** و التي نحن بصددها؟

يمكن تعميم هذا الطرح بالاعتماد على الدرس السابع للبرجماتية المعنون بـ "البرجماتية و الإنسانية"، إذ ترى **هيلاري بتنام** Hilary bitnam إمكانية قراءة نظرية الإدراك الجيمسية jamessienne على أنها محاولة لتطوير واقع ذي وجه إنساني انطلاقا من تجريب بحت[3]، فالتجريبيون يرون أنه لا يمكن أن نؤمن بفكرة ما لم

1)– محمد سليمان، حسن، دراسات في الفلسفة الأوربية، دار علاء الدين للنشر و التوزيع، دمشق، ط1، 1998، ص 46، 47

2)– محمد ،عبد الحفيظ، الفلسفة و النزعة الإنسانية (الفكر البرجماتي نموذجًا)، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006، ص 12، ص 55

3)– Jean greish, le buisson ardent et les lumières de la raison, , page 419

نخضعها إلى التجربة، لأن الحقيقة هي ما تدركه الحواس، و كل شيء بعيد عن الحواس و منطق العقل. أما تجريبية جيمس فتتنافى قليلاً مع تجريبيهم و هو في أنه يؤمن بحقائق تأتي عن طريق الوجدان أو الذات[1] كي تصبح متطابقة مع متطلبات الإنسان و تجعله إنسانيًا خالصًا يمتثل قدراته و نتائج أعماله وراء معرفة الحقيقة، و البرهان العلمي ليس هو دائمًا الذي يساير الأفعال، و إنما تكمن مصلحة البرهان في كونه يساهم في فرض وجود الإنسان و قيمته في المجتمع.

رأى **جيمس** أن أفكارنا و معتقداتنا وسائل بها تحقق أغراضنا في الواقع الذي نعيشه، و العمل الإنساني الذي يحقق نفعًا هو فضيلة من الفضائل الخلقية، و الذي ينتهي إلى تحقيق متطلباتنا هو المعتقد الصحيح[2]، استمر **وليم جيمس** في شرحه للإنسانية و التي أعلن أنها نفس وجهة نظر **شيلر** حيث خصص لها فصلاً بعنوان "ماهية المذهب الإنساني" في مؤلفه "التجريبية الأصلية"[3].

و من خلال تتبعه للأفكار البرجماتية بحيث جعلها تنمو مع الأفكار الإنسانية في ميزان واحد، الأمر الذي دعى **شيلر** إلى الرفض و التحذير بقوله "إن المذهب البرجماتي أضيق نطاقًا من المذهب الإنساني، لأن الأول في جوهره نظرية في المعرفة، أما الثاني فيضيف إلى هذه النظريات نظريات أخرى في الميتافيزيقيا و الأخلاق و الجمال و الدين". فالمذهب البرجماتي في **هارفارد**، و المذهب الإنساني في **أوكسفورد** يعبران عن تيار واحد و حقيقة واحدة[4] أي ان البرجماتية تتناول مسائل تخص الإنسان و قيمه الخلقية و الدينية، و من طروحات **وليم جيمس** البرجماتية و التي تهتم بشؤون الإنسان هي مشكلة الفلسفة و منها البرجماتية و الإنسية، و الفلسفة عند **جيمس** هي "تاريخ تصادم.. معين لأمزجة إنسانية"[5]، يقول **جيمس** "أن الأفكار التي تنبئنا أيًا منها نتوقع هي التي تعد

---

1)– تامر، زروقي، الاعتقاد و الحقيقة عند وليم جيمس، ماجيستر في الفلسفة، إشراف أ.د: البخاري حمانة، كلية العلوم الاجتماعية، وهران، الجزائر، (غ. منشورة)، 2010، 2011، ص 102

2)– إسماعيل، الشرفا، مرجع سابق ، ص 178، 179

3)– محمود فهمي، زيدان، مرجع سابق ، ص 177

4)– محمود فهمي، زيدان، مرجع نفسه، ص 175

5)– Jean greish, le buisson ardent et les lumières de la raison, , page 69

الأفكار الصحيحة في كل هذا المجال الأولي من التحقيق و السعي في طلب مثل هذه الأفكار هو واجب إنساني أولي و حيازة الحقيقة أبعد ما تكون هنا عن كونها غاية في ذاتها لا تزيد عن كونها وسيلة أو أداة أولية لبلوغ ضروب أخرى من الإشباع و الرضا و السرور و الحيوية"[1] فينادي به **جيمس** من السعي في طلب الأفكار الصحيحة كونها وسيلة تبعث في نفوسنا ارتياحا، هو تلك الإرادة الإنسانية التي تغير من الواقع و ترقى به إلى المثل الأعلى كما يرى **شيلر**، إلا أن جيمس يؤكد على دور الأفعال المعرفية أكثر ضمن إيماننا بالواقع[2].

يقول جيمس "أرأيتم كيف يصل الإنسان طبيعيًا إلى المبدأ الإنسي، إنك لا تستطيع أن تستأصل الإسهام.. إن الأسماء و الصلات التي نخلعها كلها تراث مؤنس يتوارثه الخلق من السلف و في النظريات التي تبنيها و ننشئها منها، فإن النظام الداخلي و الترتيب و التدبير و التنظيم كلها تمليها الاعتبارات الإنسانية، و منها الموافقة الفكرية الخالية من التناقض العقلي، و الرياضيات و المنطق نفسهما يختمران و يغليان لإعادة التنظيم و التدبير الإنساني[3]" و عندما نتحدث عن الحقيقة مستقلة عن التفكير الإنساني فإنه تبدو عندئذ شيئًا من الصعب إيجاده، إنها تختزل إلى فكرة ما يدخل في الخبرة، و مع ذلك يتعين تسميته أو إحالته إلى ضرب من الحضور الأرومي المتصور في الخبرة قبل نشوء أي معتقد عن الحاضر قبل تطبيق أي مفهوم إنساني[4] على حسب تعبير جيمس يظهر أن الإنسانية و جوانبها متغلغلة في مختلف العلوم و المعارف و أن فعل الإنسان هو مصدر الحكم على الارتقاء، متحليًا بالإيمان و الإرادة كي يحل مشاكل العالم حلاً يعود عليه بالنفع، و ليس الحل المجرد الذي تتخذه الفلسفة العقلية سبيلاً لها[5] لأن الإنسانية نافعة في حد ذاتها تخلصنا من بعض المشاكل التي يثيرها المذهب الواحدي كمشاكل الحرية، و المشاكل الميتافيزيقية و كذلك يخلصنا المذهب الإنساني الذي اقترحه **شيلر**

---

1)– وليم، جيمس، البرجماتية، مرجع سابق ، ص 239

2)– هنري ،توماس، اعلام الفلسفة "كيف نفهمهم"، ترجمة: متري أمين، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، دار النهضة العربية، القاهرة، د(ط)، 1964، ص 334

3)– William james, le pragmatism, P.U.F, Flammarion, 1968, page 177

4)– epid, page 178

5)– محمود فهمي، زيدان، مرجع سابق ، ص 43

من المذهب المطلق الذي عرضه **برادلي**، و السبب الأكثر أهمية و الذي جعل **وليم جيمس** يوافق على أفكار صديقه **شيلر** هو أن المذهب الإنساني اقتصاد فكري[1] يقول **جيمس** "و على أية حال فإن القوانين و اللغات، من ثم ترى على أنها أشياء من صنع الإنسان و من عمله، و **شيلر** يطبق القياس على المعتقدات و يقر أن اسم "الإنسية" لدلالة على المذهب القاضي بأن حقائقنا لا سبيل إلى التثبت منها هي أيضًا نتاج من صنع الإنسان، فالحوافز الإنسانية تشدد كل قضايانا، و ضروب الرضا و الإشباع و الغبطة الإنسانية تندس في طوايا كل إجاباتنا و كل قواعدنا لا تخلو من ميل إنساني لا يخلو من عوج على نحو ما[2]".

مهد **وليم جيمس** طريقًا نافعًا للإنسان و هو الأمل، لأن كل فرد معرض للصراع في حياته و ينتهي به هذا الصراع إلى نتيجة حتمية تقوم على الإيجاب و السلب، بحيث يتعايش معه الإنسان إلى ان يحقق نصره، و بإمكان دائم للنجاح كتسمية مميزة لكل اعتدال أخلاقي و محافظة على الخير[3] و أهم مرشد هو الفلسفة البرجماتية لأنها عملية في نشاطها الفكري، و أنها تشجع الإنسان على بذل مجهود استمرار الحياة، و بناء كل ما يساهم في رقي العالم الذي تنحصر أفعاله في القيم، و ظهورها كنمط يشكل السعادة في مختلف صورها[4] أي ان كل ما يساهم في ظهور التقدم و الاستمرار هو ما ينفعنا، و ينتهي بنا إلى الحق و أن الإيمان بالمنفعة هو كمثل الإيمان بالعقائد الدينية الصحيحة، و التي هي فرض من الفروض الخصبة في حياتنا[5] فمعيار الدين هو النتائج العملية التي يمنحها لنا كالشعور بالراحة و الطمأنينة من خلال تجربة فردية يقوم بها كل إنسان لذا يمكن أن نقول أن الدين محلل للشعور الروحاني، و مهتم بالفرد البرجماتي من حيث هو واقع داخلي نفسي[6].

---

1)– محمود فهمي، زيدان، مرجع سابق ، ص 177

2)– وليام ،جيمس، البرجماتية،مصدر سابق، ص 283

3)– محمد فتحي، الشنيطي، وليم جيمس، دار الحمامي للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 1975، ص 182، ص 185، 186

4)– هنري، توماس، اعلام الفلسفة "كيف نفهمه"، ترجمة: متري أمين، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، دار النهضة العربية، القاهرة، د(ط)، 1964، ص 373، ص 380

5)– فيصل، عباس، موسوعة الفلسفة، دار الفكر العربي للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص 197

6)– روني، إيلي ألفا، موسوعة أعلام الفلسفة العرب و الأجانب، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، ج1، ط1، 1992، ص 377

إن الأفكار و الآراء هي مقاصد يستعين بها وليم **جيمس** لحفظ بقاء أي فرد، من أجل السير نحو الكمال و السمو، و يصرح **جيمس** أن من أنواع البرجماتية و التي فعلاً تخدم مصلحة الإنسان هي ما يسمى البرجماتية الإنسانية[1].

1)– محمد، شيخاني، التيارات الفكرية المعاصرة و الحملة على الإسلام، دار قتيبة للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص 317، ص 320

المطلب الثاني: ربط الإرادة بالإنسانية

تساءل **جيمس** قائلاً "ما هو مركز الشخص الذي يبحث عن فلسفة أخلاقية؟، لابد أن يميز أولاً عن هؤلاء الذين يرضون بالشك في الأخلاق، فلا يمكن أن يكون لا أدريًا، و لهذا فإن الشك الأخلاقي مع أنه لا يمكن أن يكون ثمر للتفلسف الأخلاقي، لابد أن يعتبر مناقضًا للفلسفة، و مهددًا من أول الأمر كيان كل مريد للتفلسف فيضبط همته و يجعله يتنازل عن مقصده[1]" ذلك المقصد هو أن يضع نظامًا للعلاقات التي تربط الأشياء بعضها ببعض، و تحولها إلى وحدة ذات شكل ثابت مستقر و تجعل العالم يبد كتلة واحدة من وجهة النظر الأخلاقية، فإذا كان العالم لا يخضع لمثل هذه الوحدة، فلابد أن تبقى القضايا الخلقية، و الأحكام الخلقية متأرجحة مضطربة، و لابد من أن يخفق الفيلسوف في تحقيق هدفه و مثله، مادة بحث ذلك الفيلسوف هي المثلى التي يجدها متحققة فب العالم، و الغرض الذي يبعثه هو إرادة وضعها في قالب معين و ذلك هو مثاله، و هو عنصر مهم من عناصر الفلسفة الأخلاقية لا يصح تجاهله أو إهماله، و هو أيضًا قيمة إيجابية لابد أن يصنفها الفيلسوف[2].

أي أن ممارسة حرية الإرادة سبب يرجو به الإنسان ما يعترضه و هذا اختبار ينبع من مخيلة النفس، فالإيمان يلجأ إليه الإنسان للتخلص من المعاناة و الألم و العذاب و القدرة على التحلي بالعزيمة و الاعتقاد بالإيمان و الصبر يغيب الجرأة الفعالة لا الكآبة السالبة أو التشاؤم في تيار الحياة[3]، فالعمل الإنساني يعتمد على التجربة الوجدانية الخالصة من أجل إرضاء حاجة نفسية، و تحقيق مطلب إنساني و يستهدف بذلك مقومًا أساسيًا ألا و هو التصور كفكرة حقة تقود إلى فعل سيتبع نتائج مرضية[4].

1)– وليم ،جيمس، إرادة الإعتقاد، ترجمة: محمود حب الله، دار إحياء الكتب العربية للنشر، مصر، د(ط)، 1946، ص 80

2)– وليم ،جيمس، المصدر نفسه، ص 81

3)– هنري، توماس، مرجع سابق ، ص 374

4)– يوسف ،كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم للنشر، بيروت، لبنان، د(ط)، د(ت)، ص 418

و ما لا يمكن نسيانه أن **جيمس** قد تعلم خلال فترة تعرضه للمرض أثناء حياته أشياء كثيرة مردها أن الإنسان رهن بإرادته فهو قادر على أن يثبت وجوده بالعمل بكل عزيمة و اجتهاد فيغير حينها من نفسه و عقله، و يقوي اعتقاده بالإيمان كحاجة يؤمن بها الإنسان و يحقق من خلالها الشعور بالطمأنينة، و بذلك يستطيع أن يحصل على النفع الذي يريد، و يبدل بذلك الضرر بالنفع و لهذا فالإرادة الإنسانية هي أمل و مطمح البشرية[1].

اهتم **وليم جيمس** بالميول الفردية و الأمزجة الإنسانية المتنوعة و يظهر ذلك الاهتمام في موافقته على كل ما يجلب المنفعة للإنسان و يحقق الفائدة، و فائدة الإنسان في نظر **جيمس** أكثر من فائدة معرفة الحقيقة من خلال تجارب عملية واصلة بحيث تغلب النظرة البرجماتية[2]، يقول **جيمس** "إن الإنسية في الحقيقة أكثر شبهًا بأحد تلك التغيرات الدنيوية التي تعلم الرأي العام بين عشية وضحاها محمولة على هذين التيارات" أعمق من أن تحدث صوتًا أو يعلوها زبد" و التي تبقى حية لا تموت بكل ما يلصق بدعاتها من ضروب الإسراف و التطرف، و القشم بحيث أنك لا تستطيع أن تلصق لواحد منهم عبارة جوهرية على الإطلاق أو تقتله بطعنة واحد نافذة تجهز عليه[3] و الدليل في قول **جيمس** هو أنه رجل إيمان يستدعي تفسيره للإنسية من خلال التجربة و الشعور الديني في كل معترك يصيب الإنسان في حياته، و أن التغير الذي يحدث تطورا هو في نظر **جيمس** شرط البرجماتية يمرح قائلاً "إن الشرط الوحيد لفهم الإنسية هو أن يصبح المرأ نفسه ذا عقل استقرائي، و أن يسقط من حسابه التعريفات الصارمة المتزمتة و ان يتبع سبيلاً أقل مقاومة على "الإجمال"، و بناء على ذلك فإن الخدمة الأولى للمذهب الإنسي الذي ..... إلى الفلسفة هي أنها على الأرجح ستظهر أولئك الذين لا يحبونها إلى التنقيب في صميم رؤوسهم، و دخيلة على نفوسهم و قلوبهم، إنها ستدفع بالتحليل إلى الأمام، و تجعله نظام العصر"[4] أي أن جيمس يرى في الإنسانية نظامًا مستقبليًا يوفره عقل الإنسان بعيدًا عن كل جمود و تعصب دخيل على الأنفس

1)– مصطفى، حلمي، الإسلام و المذاهب الفلسفية نحو منهج لدراسة الفلسفة، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 275
2)– محمود، فهمي زيدان، مرجع سابق ، ص 178
3)– وليام، جيمس، البرجماتية، مرجع سابق ، ص 424، 425
4)– محمد، عبد الحفيظ، الفلسفة مرجع سابق ، ص 223

فشعار جيمس المأثور "دع كل إنسان يأثر الجانب الذي يرتضيه أعني الجانب الذي يحقق له السعادة في نفسه، و يهيئ له حياة راضية يعيش فيها بمقتضى ما اقتنع به و أترك للمستقبل أن يحكم على موقفه بالصواب أو الخطأ"[1].

و إن الواجب الأصيل هو في تأدية الإنسان مهامًا أفضل، و فيها كل الخير بحيث يتميز عن غيره في تحقيق الخلاص من أجل تقدم البشرية، و بالاستناد دائمًا إلى التجربة الدينية و التي هي ثمرة تقدير و جد لكل حافز إنساني في هذه الأرض[2]، كما تزودنا التجربة الدينية الكاملة الصحيحة بالتآثر بحيث تجعل للمجتمع عبادة إلى واحد يمنحهم العطاء و كأنهم من أسرة واحدة[3] و على هذا الأساس يقول **جيمس** "إن المذهب الإنسي يتقدم مباشرة ليذهب و يدمث خلاعة و تفكك هذه النعوت، إننا نتطابق على نحو ما مع أي شيء ندخله معه في أية علاقة على الإطلاق. فإذا كان شيئًا فقد ننتج نسخة طبق الأصل منه، أو قد تشعر به فحسب كموجود كائن في مكان معين و إذا كان حاجة فقد نلبيها دون أن نعرف أي شيء عنها أكثر من دفعها و إلحاحها". إن الإيجابية التي نادى بها **وليم جيمس** هنا ليست كمثل الذين يعدون الطبيعة إلهًا مختصر و ناق الاستقلالية التجارب النفسية المعاشة، فكل ما هو قابل للملاحظة يعتبره حقيقيًا و كل ما هو حقيقي هو قابل للملاحظة، يعتبره حقيقيًا و كل ما هو حقيقي هو قابل للملاحظة لأن التجربة و الواقع هما وجهان لعملة واحدة[4] و من ثم يرى جيمس "أن الحقيقة تعني طبعًا للمذهب الإنسي علاقة أجزاء من الخبرة أقل رسوخًا و ثباتًا (محمولات أو مسندات إليه) بأجزاء أخرى أكثر ثباتًا و رسوخًا نسبيًا (مسندات أو مبتدأت) و لسنا مطالبين بأن نبحث عنها في علاقة خبرة ما من حيث هي خبرة بأي شيء يتجاوزها ذاتها"[5]

1)– محمد ،عابد الجابري، الحضارة المعاصرة من الضرورة إلى الصيرورة، دار الفرقد للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص 91

2)– محمد فتحي ،الشنيطي، مرجع سابق ، ص 189، ص 197

3)– هنري، توماس، اعلام الفلسفة "كيف نفهمهم"، ترجمة: متري أمين، ص 377

4)– Jean greish, le buisson ardent et les lumières de la raison, page 416

5)– وليم، جيمس، البرجماتية، مصدر سابق، ص 440

تساءل **وليم جيمس** عن مسألة وجود العالم، و الإنسان بصفة خاصة قائلاً "بيد أن مسالة الوجود غامضة جدًا على أية حال، بحيث إنه سواء انبثق الأشياء في الوجود دفعة واحدة أو جاءت قطعة، و كان لها أعمار مختلفة (بحيث يمكن للإبداعات المختلفة أن تفيض في عالمنا كل وقت) فمن الممكن ترك هذا السؤال جانبًا و إن لم يكن هنالك شك في أننا لو توخينا الاقتصاد في التفكير لافترضنا أن كل الأشياء قديمة على حد سواء و لن تفيض أية إبداعات"[1]، فيما أن **وليم جيمس** رجل إيمان، متأثر بالعقيدة الدينية من خلال التجربة، و ما دام متأثرًا بالدين فلا شك أنه يدرج فكرة الوجدان في مسألة الوجود، و هنا يتشابه إلى حد غير بعيد من المثالية البرادلية، و ما دام أن يلح على فكرة الإرادة و قيمتها فلا شك أنه يرى أنها تولد الإبداع و اتصاله بالإنسانية كونها اقتصاد في التفكير، و هنا نجد أن هذه الفكرة تتواجد عند التطورية السبنسرية[G] في محبة الإنسانية، و وجود التجربة الدينية يستثني على الإرادة و الإعتماد على النفس بدلاً من الإعتماد على الآخر، و لا يمكن للتجربة الإنسانية أن تستمد مبادئها من أجزاء تجارب أخرى حينها يمكن أن نميز بين العقول و الإحساسات و القيم أي بوزن كل تجربة يقوم بها الإنسان الموجود في هذا العالم، و هذا كله يندرج تحت أسس نظرية المعرفة الإنسانية، و كمرحلة يقوم بها الإنسان البرجماتي الديني[2] و هذا ما أوجد عن الفيلسوف أوغست كونت، حينما قال **جيمس** "قال أوغست كونت مؤسس الفلسفة التي أطلق عليها اسم الفلسفة الوضعية، إن النظرية الإنسانية في أي موضوع من الموضوعات تتخذ دائمًا ثلاثة صور على التعاقب، ففي المرحلة الدينية تفسر الظواهر بأنها تتولد عن الأرواح، و في المرحلة الميتافيزيقية تتسبان قسماتها الجوهرية إلى فكرة مجردة"[3].

---

1)– وليم ،جيمس، بعض مشكلات الفلسفة، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، مصر، د(ط)، 1962، ص 114

***)– هربرت ،سبنسر (1820، 1903م)، فيلسوف إنجليزي، فكرته الأساسية هي التطور الطبيعي جدد حلة فكرة التطور التي انبثقت عن القرن الثامن عشر حيث لاقى نجاحًا باهرًا في القرن التاسع عشر كما أراد سبنسر أن يشرح التاريخ الكامل للعالم**

2)– محمود فهمي، زيدان، مرجع سابق ، ص 117

3)– وليم، جيمس، بعض مشكلات الفلسفة، مصدر سابق، ص 22، 23

صرح **جيمس** عن مدى علاقة الواقع الإنساني بالتجربة الدينية التي يرى فيها امتثالاً نافعًا لطبائعنا الباطنية يقول "... فالواقع هو عمومًا ما يتعين على الحقائق أن تدخله في حسابها، و الجزء الأول من الواقع من وجهة النظر هو جريان أحاسيسنا و تدفقها، أم الجزء الثاني من الواقع كشيء يجب على معتقداتنا أن تدخله في الحساب امتثالاً فهو العلاقات التي تحصل بين مشاعرنا أو بين صورها و هذا الجزء ينقسم إلى جزأين:

أ)- العلاقات القابلة للتغيير و التقلب مثل علاقات المكان و الزمان،

ب)- العلاقة الثابتة و الأصلية لأنها مبنية على الطبائع الباطنية و كلا النوعين من العلاقة مسألتا إدراك مباشر و كلاهما "وقائع"[1].

و على ما يبدو من كلام **جيمس** أن الواقع ثلاثة أوجه ذات رابطة متغيرة و نسبية فيا بينها من حيث أن الإنسان يملك الإحساس و الذي يذكره **جيمس** في مواطن كثيرة كونه طبيبًا نفسانيًا، و يربط مشاعر الإنسان بأمزجة إنسانية أخرى و يضيف لهذه العلاقة علاقات باطنية تصدر من ذواتنا، و قد تتغير بتغير الظروف، و من خلال النشاط اليومي و استمراره و تجدده عبر الزمن ينمو و يتطور الواقع، و أن الحقيقة تتكون و تصطنع على حسب منفعة الإنسان كونه ينظر و يأمل أن يكون النجاح حليفه في المستقبل[2] و بالتالي فالأخلاق عند جيمس مبنية على التطور و الإرادة و الأمل و ببذل الجهود قدر المستطاع[3] لأن من مقاييس خدمة الجنس البشري هو ذلك الحق الذي ترى فيه البرجماتية كل النفع من أجل أن تكون برجماتية إنسانية ناضجة و متكاملة، لكن إن هذا الحق الذي يصون الإنسان و كرامته و يميزه عن جميع الناس قد لا يكون إنسانيًا أي بمعنى أنه يأخذ صفة النسبية في الأخلاق الإنسانية[4] و هاذ ما نجده عند **جيمس** قال "... و عندما نتحدث عن الحقيقة مستقلة عن التفكير الإنساني فإنها تبدو عندئذ من الصعب جدًا إيجاده، إنها تختزل إلى فكرة ما يدخل في الخبرة فقط، و مع ذلك

1)- وليم، جيمس، البرجماتية، مصدر سابق ، ص 286

2)- محمد، سليمان حسن، دراسات في الفلسفة الأوربية، دار علاء الدين للنشر و التوزيع، دمشق، ط1، 1998، ص 47

3)- محمد فتحي، الشنيطي، مرجع سابق ، ص 186

4)- محمد، شيخاني، مرجع سابق ، ص 320

يتعين تسميته إلى ضرب من الحضور الأرومي المتصور في الخبرة قبل نشوء أي معتقد عن الحاضر قبل تطبيق أي مفهوم إنساني"[1]، و من الأسباب التي جعلت **جيمس** يتعارض مع المذهب المطلق عن الإنسية هو لأنه كما قال "... لأنهم يشعرون أنها غير صحيحة، فمعنى ذلك أن عادة حاجاتهم العقلية برمتها قد تزودت من قبل بوجهة نظر مخالفة للحقيقة يبدو العالم الإنسي إذا قورن بها، و كأنه ليس سوى نزوة من نزوات قلة الشباب العابثين، إن إجماع إدراكهم الذاتي الباطني هو ما يتحدث هنا باسم الطبائع الخالدة السرمدية، و يأمرهم بنبذ إنسانيتنا كما يدركونها"[2]، و مع ذلك دعت إنسانية **جيمس** و روحه الدينية إلى تعزيز الاختبار الإنساني و حريته في هذا العالم، و معتركاته، كما أن فلسفته على أصالة و كرامة الإنسان و قدراته العملية، و نتائجه النافعة[3] و لأن القاعدة البرجماتية تقر بوجود دلالة أي مفهوم على الدوام، إما في الشيء المعين الذي تسير عليه مباشرة أو على الأقل في بعض الفوارق الخاصة خلال التجربة الإنسانية التي يحدثها الأثر الذي تراه حقيقيًا، و لقد أصبحت الفلسفة الأخلاقية حول ما اقترحه **جيمس** من كرامة و فضائل إنسانية أكثر وضوحًا على ضوء نظرية الحقيقة[4].

1)– وليم ،جيمس، البرجماتية، مصدر سابق، ص 290

2)– وليم، جيمس، ، المصدر نفسه، ص 447

3)– محمد فتحي، الشنيطي، مرجع سابق، ص 203، 204

4)– Gerard deledalle, la philosophie américaine, PUF, flammarion gréniant, 1983, page 149

المبحث الثالث: المكانة الأخلاقية للمذهب الإنساني

المطلب الأول: التركيز على تصور الإنسانية عند شيلر

استطاع **فرديناند شيلر** بفكرته عن المذهب الإنساني أن ينقل البرجماتية إلى إنجلترا، و تجلى ذلك حين صبغ الإنسانية بصيغة برجماتية أثرت تأثيراً بالغًا على الفلسفة البرجماتية الأمريكية، فكان الاتصال الفكري قائمًا بين البلدين أمريكا و إنجلترا، و قد اعترف وليم **جيمس** بالدور الذي أداه **شيلر** و مساهمته الفعالة في إرساء الجهود الإنسانية، و الإعلاء من القيم الإنسانية و نشرها بين المجتمعات[1]، يقول **جيمس** "... إن السبب الأول الذي دفعني إلى الدفاع عن المذهب الإنساني هو أنه اقتصاد فكري، إذ يتخلص المذهب من المشاكل التي يثيرها المذهب الواحدي كمشاكل الحرية و الشر و ما إليها، و يتخلص أيضًا من بعض المشاكل الميتافيزيقية فمثلاً يتخلص من المذهب اللاإرادي حين ينكر افتراض وجود وقائع فائقة على التجربة، و يتخلص المذهب الإنساني أيَا من المطلق كما عرضه **برادلي**، كما ينكر المطلق عند **رويس**"[2]. فأكثر المجالات التي كان **شيلر** منصبًا عليها هي ما غلب عليها الطابع الأخلاقي سواءًا في نظرية المعرفة و التي تخص مشكلة الصدق أو في دراسته للمنطق فقد أضفى إلى جميع دراساته الجانب الإنساني، و الغرض من هذا إرضاء الذات، كما وضع **شيلر** معايير و أسس للتمييز بين ما يعرف بالصواب و الخطأ، و أن تستمد المعرفة بصدد حقيقة التجربة الفعلية، و هي التجربة التي نادى بها **وليم جيمس** إذ رأى أنها تعتمد على ذاتها و لا تعتمد على شيء[3]، هذه الذاتية التي دافع عنها **شيلر** مدافعة قوية في كثير من آرائه، وجد لها صدى في هذا الوجود، و تحقيق الذات معناه الرضا الكامل، و الحقيقة الأسمى، كما تعد هاته الأخيرة ميزة من مزايا المذهب الإنساني، فالطبيعة الإنسانية هي المقدمة الكاملة التي يجب أن تبدأ بها كل فلسفة، و استبعاد كل فكر يقوم على التعصب و دمج الفلسفة في الحياة بما في ذلك مشاركتها في المشكلات الإنسانية، و بعث الإرادة في النفوس البشرية و جعل العقل الإنساني موضع الاعتبار و الإعلاء من

1)– رودلف، متس، مرجع سابق ، ص 48

2)– وليم، جيمس، البرجماتية،مصدر سابق، ص 177

3)– هنترميد، مرجع سابق ، ص 407

سلطانه عكس قيود العصر الوسيط، و أن ارتباط العقل بالوظائف السيكولوجية التي تعد في حقيقتها ثروة نفسية شكل نزعات و مطامح أخلاقية لها انعكاسات على العقول الفردية إذ يظهر الاختلاف و التمايز و تظهر الصفوة من أبناء البشر و هذا يدل على التغير و النسبية بين المزجة و الطبائع الإنسانية[1] و **شيلر** نفسه يعترف بدو السفسطائية لما أقرت على النسبية في كل شيء و أكدت على ضرورة الإنسان و قيمه و النظر إلى أفعاله منتهجة في ذلك المعايير التي يجب أن يتوقف عندها كل فرد[2] حيث نجد كما قال **شيلر** " أن الإنسانيين الخالصين سوف يكون وجودهم على الدوام نادرًا في الدوائر الأكاديمية، و سوف يوجد دائمًا أناس كثيرون لن يمكنهم تجنب إقناع أنفسهم بهدف منهج كالمنهج البرجماتي ... ما لم يستطيعون التغلب على التأثيرات الذهنية لطبيعته و طريقة حياتهم، و سيكون هؤلاء عاجزين عجزًا نفسيًا عن التقدم في الطريق الذي يؤدي من المذهب البرجماتي إلى المذهب الإنساني، و مع ذلك فهذا التقدم هو على نحو ما، منطقي بقدر ما هو سيكولوجي و سيبدو المذهب البرجماتي تطبيقًا خاصًا للمذهب الإنساني على نظرية المعرفة و لكن المذهب الإنساني سوف يبدو أكثر شمولاً، و سيبدو مالكًا لمنهج يمكن اصطناعه على جهة الشمول في الأخلاق و الجمال و الميتافيزيقيا و اللاهوت، و في كل ما يشغل الإنسان، كما يمكن تطبيقه على نظرية المعرفة ..."[3]، و بذلك تبين **لجيمس** على أن اصطلاح البرجماتية كما قال "أستعمل في إنجلترا استعمالاً فضفاضًا ليشمل فكرة أن حقيقة أية عبارة تتألق من النتائج، و بصفة خاصة من كونها نتائج طيبة، هنا تتجاوز مسائل الطريقة تمامًا، و حيث إن برجماتيين، و هذه البرجماتية الواسعة مختلفتان جدًا، و كلتاهما هام بدرجة تسمح لها باسمين مختلفين، فاعتقد أن اقتراح المستر **شيلر** بتسمية البرجماتية الأوسع باسم الإنسية، اقتراح وجيه و ينبغي أن يأخذه به، أما البرجماتية الأضيق فمن الممكن أن نظل نتحدث عنها باسم الطريقة البرجماتية"[4] أي أن الإنسانية التي نادى بها **شيلر** لها مكانة أخلاقية معتبرة جاءت

1)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 132، 133

2)– محمد ،عبد الحفيظ، مرجع سابق ، ص 46

3)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 133، 134

4)– وليم ،جيمس، البرجماتية،مصدر سابق، ص 422، 423

مسخرة لخدمة الحياة و العلم و اكتسبت أفكاره اصلاحات في الفلسفة مستبعدة في ذلك لعنة النزعة العقلية و تخاريف الفكر الخالص، كما اكتسبت آراء **شيلر** رونقًا و وضوحًا حين أكدت على الجانب السيكولوجي لما يحتويه من وظائف مساهمة في تحقيق الأهداف الإنسانية مستندة في ذلك بالعقل كي تتحقق أفكار إنسانية هادفة أي ذات أسلوب ناجح و نتيجة إيجابية في الواقع[1]، ففلسفة النزعة الإنسانية تسعى على الدوام إلى تذكير الناس بأن مقرهم الوحيد هو هذه الحياة، و تحقيق الذات فيها و سعادة الإنسانيين[2].

1)– ابراهيم مصطفى، ابراهيم، مرجع سابق ، ص 75

2)– هنترميد، مرجع سابق ، ص 407

المطلب الثاني: دور العقل الإنساني في إحياء الصدق و النجاح

اهتمت الفلسفة البرجماتية بفكرة تحقيق الخير و النجاح، و أخضعت فكرة الحقيقة لهذا التحقيق، حيث أكدت على العمل و الإرادة بشأن المصلحة الذاتية، و وكلت هذا الفكر للإنسان كونه صاحب عقل، و لا غرور في اتفاق برجماتيين **شيلر** و **وليم جيمس** بشأن اتخاذ العقل العملي كمبدأ موجه وفق معرفة حقيقية الأفكار و دون التفكر و التأمل في الكون و لذلك نجد أن البرجماتية تستبعد العقل النظري و تمجد كل ما هو معطى نافع و حقيقي[1]، و استناداً لقول وليم جيمس "... فعلى الجانب البرجماتي ليس عندنا سوى نسخة واحدة من الكون لم تتم، و هي آخذة في النمو في كل أنواع الأماكن و خصوصًا في الأماكن التي يعمل فيها أناس يتفكرون"[2]، هذه النظرة التي يركز فيها العقل على العمل كهدف إنساني قادر على خلق إرادة خيرية و نتيجة أسمى مدحت بها البرجماتية حين استمدت فكرها من الفلسفة المثالية الألمانية و التي دعى إليها **كانط** حينما رأى أن الحقيقة تقوم على البنية العامة للذهن البشري، لهذا نجد أن البرجماتية ترى أن العقول الفردية قادرة على أن تسعى جاهدة لتحقيق أغراضها و معرفة حقائقها الذاتية من خلال ما تمليه من نتائج ممثلة بذلك هيئة عامة للذهن البشري و بناءًا يقوم على التطور في مجرى الافتراضات العقلية و الحلول الإنسانية[3] من خلال التساؤلات التي كان مدارها العقل البشري نفسه حول كيفية تفسير العقل الإنساني و الأخلاق الإنسانية و المعرفة الإنسانية و الذات الإنسانية، و كان هذا تساؤل ذو أهمية أساسية بالنسبة للبرجماتين في المحرك للتطور و إحياء الصدق و كنتيجة لأي فكر إنساني[4].

ساهم العقل الإنساني في بناء الواقع و بناء الحقيقة، فقد حرص على إبراز الجانب الشخصي للمعرفة، و لهذا فالمذهب الإنساني منهج و توجيه للفكر كما رأى **شيلر**، بإرادته ذات الصبغة الإنسانية تقر بما في كل

1)– ابراهيم مصطفى، ابراهيم، مرجع سابق ، ص 73
2)– وليم، جيمس، البرجماتية، مصدر سابق ، ص 303
3)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 45
4)– تشارلز، موريس، مرجع سابق ، ص 26

تفكير واقعي من طابع فعال شخصي، و نزعته الإرادية لا تناصب العقل في ذاته العداء، بل تمارس العقل كنشاط يمارس في الحياة الإنسانية كخاصية جوهرية تنتج فاعلية في الطبيعة و هدف محدد يتجه صوب الحقيقة متصلاً في ذلك بالجانب العاطفي و من أجل تحقيق النجاح يحاول الفكر أن يميز بين مختلف الوسائل للوصول إلى ما يطمح إليه[1] باعتباره خالقًا للمنطق و الحقيقة، و يمكن أن يستعيدهما و ما دام هذا العقل حرًا إزاء الطبيعة لا يمكن أن يسمح لنفسه بأن يظل سجينًا أو رهينًا لهذا المنطق، و على المنطق كذلك أن يتحرر بدوره من قيود النزعة العقلية، و من تخريفات الفكر الخالص. فالمنطق يتبع ظروف الإنسان و بذلك يرتبط بوظائف نفسية، من أجل خدمة الإنسانية، فالعقل له علاقة ضرورية بالمنفعة و القيم[2] كما أنه أقوى إلى مثالية **كانط** و فتشه بما في الذهن من إيمان و قوة خلاقة، و هذا الجانب الإنساني يمثل الروح الأخلاقية لكل تفكير و جوانبه المتصلة بالأهداف و آراءه المرتبطة بالمنطق و نظرية المعرفة، فالعقل منبع الأخلاق و تظهر أخلاقيته في فلسفته العملية، و هذا السلوك الأخلاقي العملي يحدد المبدأ الذي يمكن أن يسير عليه كل مجال و كل مشكل أخلاقي يصادر الحرية في كثير من الأمور من أجل تحقيق مثلاً أعلى من كائن أخلاقي[3].

إن الهدف الإيجابي الذي يتمثل في تحقق المنفعة و كخدمة سيسديها العقل الإنساني ليس منحصرًا فقط في تحقيق النجاح، و إنما العقل موجه كذلك إلى فكرة التعاون، هاته الفكرة التي أكد عليها **وليم جيمس**، فهو يحذرنا بألا نبالغ في تأكيد أهمية "تلك المعبودة المسعورة التي تسمى بالنجاح" و يخاطبنا قائلاً "لا تجعل هدفك مقصورًا على النجاح وحده على حساب كل شيء سواه، فسواء كنت عاملاً أو ..... عمل، فإن الشيء الذي يدر عليك الربح الأكبر هو التعاون الودي، لا المنافسة العدائية، فكلما ازددنا ضخامة ازددنا خواء و وحشية، لذا تراني ضد كل نجاح كبير و كل نتيجة عظيمة، و أميل إلى الأخذ بجانب الضعفاء دائمًا"، هذا المبدأ الأساسي في

1)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 52، ص 61
2)– رودلف، متس، مرجع سابق ، ص 28، ص 40
3)– مرجع نفسه ، ص 41

العمل الذي أقر به **جيمس** جعله يميز بين بعض العقول باعتبارها مصدر لكل نجاح[1] فتراه يتخذ عن العقول اللينة و الصلبة إذ يقول "إن العالم الذي نعيش فيه يوجد منتشرًا و متغلغلاً و موزعًا في شكل حشد عديد لا حصر له من الكل واحدياتها ملتحمة و ملتصقة و مرتبطة بكل أنواع الطرق و الدرجات، و أصحاب العقول الصعبة المراد راغبون تمامًا في الإحتفاظ بها على ذلك التقدير. إن في وسعهم احتمال ذلك النوع من العالم حيث إن مزاجهم متلائم تمامًا و متكيف تكيفًا حسنًا بخطره و لا أميته أما حزب العقول اللينة العريكة فليسوا على هذه الشاكلة، إذ يتعين عليهم أن يسندوا و يدعموا العالم الذي نجد أنفسنا قد ولدنا فيه بعالم آخر و أحسن"[2]، "و من ضرر سوء فم البرجماتية مطابقتها مع الفلسفة الوضعية التي هي قرينة العقول الصعبة المراس، و افتراض أنها تزدري كل فكرة عقلية على اعتبارها أنها ثرثرة و بقبقة و هذرمة، و إيماءات بحيث أنها تؤثر الفوضى الفكرية لذاتها"[3].

ظهر أن **وليم جيمس** قد وقف موقفًا وسطًا بين العقليتين الصلبة و اللينة على الرغم من ازدراءه لهذه الأخيرة حيث منحها وصفًا سلبيًا عندما هاجم المذهب العقلي و اعتبر أصحاب العقول اللينة من العقليين، و لكن **وليم جيمس** آثر فيها بعض النفع و لذا نجده قد رأى في كلتا العقليتين نفعًا، و ليس شريطة أن يكون هذا النفع سببًا لنجاح أكبر بل في مقدور الإنسان أن يساهم في بناء عالمه، إذ يتعين عليه الدعم و المساهمة في رقي و تقدم البشرية عن طريق التكيف، و التلائم مع الأمزجة أو العقول ذات المستويات المتباينة، و هذا الدور المعرفي الذي يراه **وليم جيمس** لكل عقل إنساني يبدو ذا فعالية مثلى، و لهذا نجد **جيمس** يرى أن "في الإنسان ميولاً و حاجات و أن العقل وسيط تحقيقها في عالم التجربة بما يؤكد من مقترحات تستلزم التحقيق"[4]، و لكن أي عقل يتحدث عن **وليم جيمس** أي بمعنى هل تستوي جميع العقول في تحقيق ما تصبوا إليه من حقيقة و نجاح، و مما لا شك فيه أن **جيمس** يقصد بالإنسان الذي يتصرف بذكاء، الذي يتميز عن غيره خلال القيام بالنشاط

1)– هنري، توماس، اعلام الفلسفة "كيف نفهمهم"، ترجمة: متري أمين، ص 376

2)– وليم ،جيمس، البرجماتية، مصدر سابق، ص 309، 310

3)– المصدر نفسه، ص 313

4)– علي، عبد الهادي، المرهج، مرجع سابق ، ص 44

العقلي و خلال أداء العمل، و كإنسان مفكر تستند به الإنسانية ذروتها و تطورها التاريخي عبر الأجيال و لهذا يلعب العقل دوره البارز بكل حذاقة و بعيدًا عن كل تكلف[1]، و هذا ما أكد عليه **شيلر** في كثير من آراءه خاصة عندما خالف المذهب الطبيعي، و وسع من فكرة المذهب الإنساني و لكنه كالمذهب البرجماتي هو في أصله منهج و توجيه للفكر قبل أن يكون مذهبًا، و من ثم فالحياة العقلية تفترض وجود غايات، و أن أفضل تعريف للحياة كما يرى **شيلر** في نظر الإنساني هو التعريف الذي يضطر "كأنها كلها غائبة، و أنها سعي عقلي نحو غايات"[2].

حقق العقل البشري مجهودات كثيرة، و تجلى ذلك في قيامه بجميع الأنشطة العملية و الدراسات العلمية التي تناولها، و حاول تسوية بعض مشكلات المعرفة البشرية و التخلص من المشاكل الميتافيزيقية، و بحث في الحقيقة بحثًا تامًا و عمل على تحقيق النتائج النافعة، و هاته الوظيفة التي يثبتها العقل ارتباط وثيق بوظيفة الإرادة و التي بدورها تعمل مع الذهن لخلق صفة خلقية ذات قيمة عالية تميز الإنسان عن غيره[3]، إنها خدمة إنسانية سيديها الفكر للإنسان و خاصة في حصوله على الحقيقة ممثلاً في ذلك واسعة نحو التقدم باعتبار أن كل صورة من صور النشاط العقلي تتوقف عند الهدف نرمي إليه في كثير من الضروب، كما رأى **شيلر** و **جيمس** و من تصور الفكر بعيد عن الفعل، فكل ما يوجهه العقل البشري من مصالح للعالم يعد تاريخيًا متوقفًا عند ركيزة أساسية ألا و هي تحقيق كل نجاح و كل أمل مبني على التقدم[4] و إذن فالبرجماتية تؤكد على سلامة العقل، و تؤمن تغلبها من أجل نموه و ارتقاءه، و لذلك تبقى مستويات الأفكار نسبية ما دام وظيفة يؤديها و قادرًا على بناء الأفضل، و بالتالي لا يعد العقل ثابتًا في البرجماتية، ولا دائمًا و لا أزليًا، كما لا يعد شيئًا أو مادة، فهو سبيل به الإنسان من أجل إرساء الثقة الصادقة بين النفوس البشرية والتشبث بالصدق، ولكن أي صدق يقصد

1)– تشارلز، موريس، مرجع سابق ، ص 31

2)– عثمان ،أمين، مرجع سابق ، ص 51، 52

3)– رودلف، متس، مرجع سابق ، ص 43

4)– عثمان ،أمين، مرجع سابق ، ص 72، 73

وليم جيمس و **شيلر** كونهما يقدران الناتج و يتوقفان عند قيمة كل عمل في عالم المواقف البيولوجية كونه ثمرة ناجمة عن مشاركة الذهن في مجرى الحياة[1].

إن سبب وقوع التفكير يرجع إلى عامل هام كما رأى جيمس و هو المشاكل التي تحدث في الواقع، و لذلك نجد أن الإنسان يكافح من أجل البقاء و الاستمرار في الحياة فإذا انعدمت المشاكل انعدم التفكير، و لذلك فالفكر يتبع العلة، و الحاجة التي تستأنف بداية كل عمل يعود على الإنسان بالنفع تمثل صورة حقيقية، فلا بأس حينها أن يتخذ العقل رأيًا يخرج من دائرة الوجود، فالعقل إذن ليرشدنا إلى التعامل عن طريق تبادل الآراء، و يحفزنا إلى النشاط الذي يبعث فيها قوة روحية نستطيع من خلالها خلق مواقف جديدة في إطار التجربة الإنسانية من أجل التطور و الارتقاء و خصوصًا في المجال العلمي. إذ تأثرت بالنظريات العلمية كنظرية السوء و الارتقاء التي عمل بها وليم جيمس و غيره من البرجماتيين و تجلى ذلك حينما زعم أن العقل البشري تطور مع تطور الحياة[2] بصفة نسبية لا مطلقة كما رأى المذهب العقلي لذى أحدث فلسفة البرجماتية تناقض كبير معه و فيما يخص مسألة المعرفة حين رأى العقليون أن مصدرها العقل أما البرجماتية فتأكد على أن العقل أو السلوك العملي هو مصدر المعرفة، و بالتالي فالعقل متغير و نسبي قابل للتطور و خاضع للتجربة الإنسانية التي تؤكد على أن جهود العقل الإنساني أفضل أمل يعيش عليه[3]، و على تعبير **جيمس** أن العقل الإنساني متحيز و جزئي بطبيعته، و لا يكون ذا مقدرة و كفاية إلا بتحيز ما ينتبه و بتركه كل ما عداه بتضيقه وجهة نظره، و إلا توزعت قوته الضئيلة و ظل في تفكيره، و الذي يدعو المرء دائمًا لأن يعمل لإرضاء غرائز حب الاستطلاع هو ارادة تحقيق بعض الأغراض الخاصة[4].

1)– عبد الكريم، علي سعيد، اليماني فلسفة التربية، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004، ص 92

2)– محمد، شيخاني، مرجع سابق ، ص 322، 323

3)– حربي، عباس عطيتو، موزه محمد عبيداني، مدخل إلى الفلسفة و مشكلاتها، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 185

4)– وليم ،جيمس، إرادة الإعتقاد، مصدر سابق، ص 41

الفصل الثالث

الحقيقة و الصدق البرجماتيين بين موقفين (فرديناند شيلر و وليم جيمس)

- **المبحث الأول: مفهوم الحقيقة، أنواعها و أهم معاييرها**
  - **المطلب الأول:** تحديد معنى الحقيقة
  - **المطلب الثاني:** أنواع الحقائق وأهم معاييرها
- **المبحث الثاني: تصور وليم جيمس للحقيقة**
  - **المطلب الأول:** أثر النظريات التقليدية في تفسير الحقيقة
  - **المطلب الثاني:** مفهوم الصدق عند وليم جيمس في مقابل المذهب العقلي
  - **المطلب الثالث:** الصدق العملي و معيار النجاح
- **المبحث الثالث: وجهة نظر شيلر لمعنى الحقيقة**
  - **المطلب الأول:** أثر السفسطائية في بناء الحقيقة
  - **المطلب الثاني:** قيمة الحق في خدمة الإنسانية
  - **المطلب الثاني:** قيمة الخطأ في إكتشاف الحقيقة
- **المبحث الرابع: دور الحقيقة البرجماتية و موقف الإسلام منها**
  - **المطلب الأول: التضييق البرجماتي لمفهوم الحقيقة**
  - **المطلب الثاني: الحقيقة البرجماتية بين الرفض و القبول**

المبحث الأول: مفهوم الحقيقة، أنواعها و أهم معاييرها

المطلب الأول: تحديد معنى الحقيقة

إن تناول موضوع الحقيقة بين عدة آراء وتفسيرات ومحاولات أصدرها الكثير من المفكرين والفلاسفة وخاصة عند طرحهم لمواقف تتعلق بمقاييس تتوقف عندها القضايا والمشاكل العالقة بخصوص الوصول والحصول على حلول كافية و واضحة و صحيحة التي أخذ بها الكثير من الفلاسفة لا سيما الفلاسفة البرجماتيين الذين تأثروا بالتجريبيين القدامى و أصدروا موقفًا عن الحقيقة، و وضعوا تصورًا لها ظل مرتبطًا بمشكلة أخرى و هي مشكلة القيمة، و هذا ما تنكره البرجماتية في كافة صورها و مختلف أفكارها التي تقوم على المنفعة الخاصة بالإنسان لا غير[1] لذا كان لزامًا علينا أن نعرف معنى الحقيقة، و من خلال الإستعمالات التي كانت سائدة إبان العصور، و يظهر للكثير من أبناء البشر أن الصدق و الحقيقة معنى أو مفهوم واحد، و لمعرفة ذلك التمييز نرى أن مفهوم الصدق، و على حسب ما جاء في اللغة العربية نجد أن لفظة الصدق ترادف الصواب و الكذب يرادف الخطأ و يمكن التمييز بين نوعين من الصدق:

صدق مطلق و هو مرتبط بالمنطق، و صدق تجريبي مرتبط بالمطابقة للواقع أي أن الصدق يعني التطابق مع الواقع في العلم التجريبي وحده و بالتالي فالصدق يمكن أن يتعدد في أكثر من صورة واحدة صحيحة[2].

و إن من سمات المعرفة موضوع الصدق، فإذا نظرنا إلى معجم "لسان العرب" لإبن منظور وجدناه يقول "صدقه تعني قبل قبوله"[3] بمعنى أن قضية القول و الخبر حكم يحتمل الصدق و الكذب و الصادق، وصف لمن يقول الحق و لما يطابق الواقع فيقال "خبر صادق"[4]، و بهذا الصدد يعرف لنا **الجرجاني** الصدق و يرى أنه في اللغة يعني مطابقة الحكم للواقع، و بالتالي يتضح التعريف المتفق عليه في اللغة العربية أن الصدق نقيض الكذب[5].

---

1)– صلاح، قنصوة، نظرية القيم في الفكر المعاصر، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص 130، 131

2)– محمد فتحي ،عبد الله، معجم المصطلحات المنطق و فلسفة العلوم "الألفاظ العربية و الإنجليزية و الفرنسية و اللاتينية"، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، ط1، 2003، ص 121

3)– محمود، زيدان، نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام و فلاسفة العرب المعاصرين، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروتن ط1، 1989، ص 129

4)– ابراهيم، مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، د(ط)، 1983، ص 74

5)– صلاح، اسماعيل، نظرية المعرفة المعاصرة، الدار المصرية السعودية للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2005، ص 99

و كان ينظر إلى الحقيقة عند الفلاسفة القدامى أمثال اليونانيين و كرؤية تقليدية مثلها **أفلاطون** و **أرسطو** بحيث طابقوا الحقيقة ميكانيكيًا مع المعرفة حين ربطوا مفهوم الحقيقة بالحكم، و نفس المفهوم وجد عند الفلاسفة المسيحيون و المسلمون و لكن بشكل آخر و صياغة أخرى، و ذلك عندما رأوا أن العقل البشري يتطابق مع الشيء و هذا ما رآه الطبيب و العلامة ابن سينا و القديس **توما الأكويني** في تصورهم لمعنى الحقيقة، أما في العصور الوسطى فنجد أن سلطة الكنيسة و التعصب الديني كان المنبع الوحيد الذي تصدر من ماهية الحقيقة، و الاختلاف الذي صدر عن الفلاسفة المعاصرين هو رفضهم للاتفاق بين المضمون الذاتي و بين الواقعة في العام و ذلك في اعتبار الحقيقة[1]، و لكن رؤيتهم الجديدة في تفسير الحقيقة لا تختلف إختلافًا نهائيًا في كون الحقيقة توافق الفكر مع الواقع أو مطابقة الشيء على ما هو موجود[2].

إن هذه المعاني التي تخص الصدق او الحقيقة بينت بعض التمايز بين هذين اللفظين و الفرق بينهما هو أن الصدق في الأصل وصف للأشخاص و الحقيقة هي وصف للأحكام و القضايا[3] أما الفرق بين الحقيقة و الحق هو أن الحقيقة كما عرفت صفة تخص اشياء موجودة اما الحق فهو رأينا في هذه الأشياء و الحكم عليها[4] و هذا ما يتشابه في قول **وليم جيمس** "... و الحق كما يخبركم أي قاموس هو صفة أو خاصية لبعض أفكار معينة لدينا بالذات و هذه الصفة تعني اتفاق هذه الأفكار مع الحقيقة أو الواقع تمامًا مثلما يعني الزور بداية الصفحة اختلافها مع الحقيقة أو الواقع"[5]، إذن و على حسب هذه المفاهيم للحقيقة نرى أنها تعني بوجه عام مطابقة الفكر للواقع

1)– أمل ، مبروك ، مشكلة الإنسان في الفكر المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د(ط) ، 2004 ،ص 17،18
2)– كميل، الحاج، مرجع سابق، ص 208
3)– ابراهيم، مدكور، مرجع سابق، ص 105
4)– يعقوب، فام، البرجماتيزم أو مذهب الذرائع، دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1985، ص 232
5)– وليم ،جيمس، البرجماتية، مصدر سابق، ص 233

و القول بأن الحقيقة نسبية هو لأنها تختلف بإختلاف الأذهان و الظروف و على حد تعبير المتكلمون مطابقة ما بالأذهان للأعيان و ليس من السهل إثبات هذه المطابقة[1].

بنما نجد في موسوعة **أندري لالاند** أن الحقيقة واقع، و الوقعي حقيقي صحيح أي ما يكون شيئًا أو يختص بالأشياء في مقابل الظاهر الوهمي الخيالي كسمة ما هو واقع و فعل يمكن الإعتماد عليه[2]، إذن فالحقيقة صفة لبعض أفكارنا، إذ أن الحقيقة[G] عند البرجماتية هي في كون الفكرة صحيحة او حقيقة بواسطة الأحداث و هذا كموقف عام رغم الاختلافات القائمة بين فلاسفتها، فالحقيقة عندهم عبارة عن حادثة[3].

المطلب الثاني: أنواع الحقائق وأهم معاييرها.

و للحقيقة أنواع نذكر منها:

1- **الحقيقة الصورية**: تعتبر موضوع المنطق الصوري و تخص العقل في اتفاقه مع نفسه و بلا تناقض

2- **الحقيقة المادية**: قبل أن نشير إلى مفهوم هذه الحقيقة يمكن النظر إلى الرأي القائل عن المادية في نظرتها للكون و هو أن يرد إلى المادة و الحركة و يفسر من خلالهما و هكذا فإن لهما وجود أو حقيقة نهائية في الواقع و ذلك باتفاق العقل مع الشيء المادي[4].

3- **الحقيقة الواقعية**: تنفصل الواقعية في معناها أي سواءًا في الاسبتمولوجيا أو الميتافيزيقيا أو في إمكاننا لمعرفة صحيحة بالعالم الخارجي عن طريق التجربة الحسية، و بهذا فوجود الحقيقة سواء كان على مستوى الذهن أو مجردًا مستقلاً عن وجود المدرك كحقيقة واقعية للعالم.

---

1)– ابراهيم، مدكور، مرجع سابق، ص 74

2)– أندري، لالاند، الموسوعة الفلسفية، معجم مصطلحات الفلسفة النقدية و التقنية، المجلد الثالث، تعريب: خليل احمد خليل، دار عويدات للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، د(ط)، 2008، ص 1178

***)– ظهر أن الإنجليزيين و الأمريكيين، لم يميزوا بين لفظتي الصدق و الحقيقة و يتجلى ذلك في كلمة THE TRUTH، و انهما يأخذان معنى واحد سواء في استخدامها لوصف الأشخاص أو القضايا.**

3)– سعدون، محمود، الساموك، في المذاهب الفكرية المعاصرة، دار وائل للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص 127

4)– كميل، الحاج،مرجع سابق، ص 208

4- **الحقائق الأبدية:** ذكر **رونيه ديكارت** عن موقفه عن الحقيقة الأبدية حيث رأى أنها تابعة بعت لإرادة الله ما ما دامت القوانين منذ الأزل، كما أنها ليست لها علاقة بالإنسان، إذن فالقوانين المطلقة تشكل حقائق أبدية.

5- **الحقيقة الموضوعية:** لا تتوقف هذه الحقيقة على إرادة الذات، بل إن لها محتوى يحدد موضوعيتها و فيما يخص المعرفة الإنسانية[1].

و أهم معايير الحقيقة:

تعددت الطرق في محاولة معرفة مسار الحقيقة، من خلال تتبع العقل البشري لهذه المشكلة و تفحصها إنطلاقًا من التساؤل عن طبيعة هذه الحقيقة، و بناء معيار أو مقياس للتمييز بين مستوياتها و مضامينها و ذلك في الفصل بين كل ما هو زائف غير حقيقي، و ما هو حقيقي غير زائف[2] و لعل من اهم المعايير المعبرة عن الحقيقة معيار التحقق الحسي فيما يتعلق بمعرفة العالم الخارجي، و اول خطوة لهذه المعرفة هي الإدراك الحسي و وضع ثقة فيه من أجل تحقق القضية كالتطابق بين أفكارنا و بين الواقع، و هذا التأكيد على الحواس نجده عند بعض المدارس[3] و التي أقامها الحسيون الذين يرون إن الحس هو أفضل و أصدق مقياس للتمكن من الحصول على الحقيقة و كمقايس للنفع و هذا ما يؤكد عليه البرجماتيين، و يوجد تحقق آخر يبدي مقياسًا حقيقيًا في التحقق من العبارات بالعودة إلى الخبرة الحسية و هذا المعيار يقول به أتباع الوضعية المنطقية المعاصرة، و لكن هذا التصور للمعيار في الحقيقة و الذي يعد معيارًا حدسيًا أو كما يراه الحسيون معيارًا صوفيًا هو الكفيل لمعرفة الحقيقة في نظرهم[4] لأنه يحمل يقين و نور باطن.

1)- كميل، الحاج، مرجع سابق، ص 209
2)- أمل، مبروك، مرجع سابق ، ص 30
3)- مرجع سابق ، ص 30
4)- توفيق ،الطويل، أسس الفلسفة، دار النهظة العربية للنشر، القاهرة، ط5، 1967، ص 398

أما معيار الإتفاق الإجتماعي و هو ما يتعلق بالمجتمع، و عاداتهم، و تقاليدهم، و كذا أخلاقهم التي تلعب دوراً فعالاً في إمكان معرفة نمط الحقيقة و الحكم عليها و لذلك يعد الاتفاق الاجتماعي ذو تأثير بالغ الأهمية في شتى الميادين[1]، و من أهمية هذه المعايير تلعب البرجماتية دورها في تبني الأفكار الصادقة و معالجتها من أجل التحقق العملي لجلب منفعة الفرد، و من خلال النظريات البرجماتية و اختلاف أفكارها و التي تقف عند نقطة واحدة و هي العمل و المنفعة، نجد أنها قد صاغت لنفسها نظريات تخص الحقيقة و ذلك للأخذ بأفكار البرجماتية و دفع الضرر عنها، و لمعرفة نظرية الحقيقة عند البرجماتية يمكن معالجة شكلين للمفهوم البرجماتي يمثلها أحدهما وجهتي نظر وليم جيمس و الفيلسوف البريطاني **فرديناند شيلر** الذين تنافوا مع بعض المواقف و النظريات السابقة من حيث أفكارهم و التي جاء بها سابقيهم شكلوا جوانب مشرقة في رؤيتهم للحقيقة و التصديق بمشروعيتها، و لعل من أهم هذه النظريات نظرية التطابق و الإتساق[2].

1)– أمل ،مبروك، مشكلة الإنسان في الفكر المعاصر، (مرجع سابق)، ص 33، 34، 35

2)– جون ،هرمان، راندال، جوستاس، بوخلر، مرجع سابق ، ص 157

المبحث الثاني: تصور وليم جيمس للحقيقة

إختلف أغلب الفلاسفة في ماهية الحقيقة، و باتت هاته المسألة قائمة بين الباحثين عن كيانها و موضوعيتها، و من ثم أصدروا موقفًا تجاهها، و البرجماتية واحدة من الفلسفات التي حاولت أن تبحث في الحقيقة، إذ يعد وليم جيمس و **شيلر** من فلاسفتها الذين منحوا تصورًا و تفسيرًا خاصًا بهم، و مشكلة الحقيقة هذه حملت بعض المعالم من الأفكار السابقة و إختصت بسمة مميزة لها، و سلكت مسارًا واضحًا بعيدًا عن بيئة الإنسان و ظروفه، و لكن البرجماتية ذات صلة واضحة بينها و بين البيئة و ظروف الإنسان فمثلاً نجد أن **وليم جيمس** قد تأثر بأبيه **هنري جيمس** الذي كان يتأمل حقائق الأمر بأن الخير هو الخير الحقيقي و ليس حقيقًا، و لهذا نجد **وليم جيمس** يأثر بفكرته عن المنفعة و الرضا و القبول و يربطها بالحقيقة، كما أن **شيلر** يخضع الحقيقة في جميع الأحوال إلى الأهداف و الحاجات الإنسانية المتغيرة هذا ما يعبر عنه فلاسفتا البرجماتية تجاه مشكلة الحقيقة، و حين ركزا على نتائج العمليات و أن المثل الأخلاقية عميقة إذا إنفصلت عن وسائل تحقيقها.

المطلب الأول: أثر النظريات التقليدية في تفسير الحقيقة

شاعت في العصر الحديث نظريات فسرت الحقيقة، و مها نظرية التطابق و نظرية الترابط أو الإتساق، و تمثل هاتان النظريتان تنافس كبير فيما بينها، و بالنسبة لبقية النظريات الأخرى النظرية البرجماتية، و النظرية السيمانتية و نظرية الإضافة غير الضرورية، فلقد فسرت هي كذلك أفكارًا و حلولاً تخص مشكلة الحقيقة و إختلف فيما بينها، و الموقف الذي يهمنا في هذه النظريات الخمسة هو موقف البرجماتية، و كيفية معالجتها للصدق، و مقابلتها للنظريات السابقة[1]. او بالأحرى النظريات التقليدية و هي كالتالي:

أولاً نظرية التطابق أو المطابقة: تعد هذه النظرية من أولى النظريات التي فسرت الحقيقة بحيث رأت تطابق بين القول الصحيح من جهة و الواقع الذي فسرته من جهة ثانية و الصحيح يعني أنه يطابق ما يقع بالفعل و ما

1)– محمود ،زيدان، نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام و فلاسفة الغرب المعاصرين، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط1، ص 89

يحدث في الواقع[1]، و بصورة بسيطة و واضحة لنظرية المطابقة هو أنها تتصور القضية الصادقة عندما تتطابق و تتواجد معها واقعة، و انعدام هذه الواقعة يجعل القضية كاذبة، غير صحيحة، و لقد أخذ بهذه النظرية فلاسفة أمثال **أفلاطون** و **أرسطو** و الذي تجلى في محاورتهم القديمة و لكن لا يعني أن نظرية التطابق لم يأخذ بها فلاسفة معاصرين فلقد وجدت عند **برتراند رسل** و عند أغلب الفلاسفة التجريبيين، كما وجد فلاسفة لم يأخذوا بها مثل أصحاب الوضعية المنطقية[2].

نظرية الترابط: ترى هذه النظرية أن الحقيقة متعلقة بقضية أو حكم بدوره مرتبط بقضايا او أحكام أخرى لأن الواقع لا يرد إلا على صورة أحكام متسقة فيما بينها، و هذه العلاقة أطلق عليها المثاليون اسم الترابط و على هذا الأساس تتناقض هذه النظرية مع النظرية الأولى[3]، و المثاليون أخذوا بذلك الترابط بين مجموع الأحكام، و كمقياس لهذه النظرية في الحقيقة[4] تؤكد أن المعتقد يكون حقًا لأنه يوافق واقعًا بل يوافق و ينسجم مع المعرفة و بصفة متماسكة لا متطابقة، فالتماسك إتساق و هذا الإتساق صفة منطقية تختص بعلاقات الفكر ببعضها البعض[5] و التوضيح أكثر يمكن تبسيط نظرية الصدق كما يلي:

نحكم على قضية بالصدق، أولاً حينما يتواجد إتساق بين قضاياها جميعًا، و ثانيًا يتحقق هذا المعنى بوجود لزوم منطقي متبادل بين هذه القضايا، و يعني الإتساق أخيراً ألا يكون في النسق قضية مستقلة بذاتها منعزلة منطقيًا عن المجموعة أي مجموعة القضايا و الأحكام و هنا كلما حققنا اتساقا في الحقيقة كلما اقتربنا أكثر من المثل الأعلى[6]، الاتساق يقدم معياراً للصدق، إلا أن هناك نظرية أخرى ثالثة جاءت بصيغتها الجديدة و هي نظرية البرجماتية و ما يهمنا في هذه النظرية أكبر ممثليها و في المنفعة هو وليم **جيمس** الذي عرف بكتابه عن

1)– أمل ،مبروك، مفهوم الحقيقة "دراسة فلسفية"، مرجع سابق ، ص 116
2)– محمود، زيدان، مرجع سابق ، ص 131، 132
3)– أمل، مبروك، مفهوم الحقيقة "دراسة فلسفية"، مرجع سابق، ص 120
4)– توفيق، الطويل، أسس مرجع سابق ، ص 398
5)– جون، هرمان، راندال، جوستاس، بوخلر، مرجع سابق ، ص 155
6)– محمود، زيدان، مرجع سابق ، ص 138

البرجماتزم و الذي خصص فيه فصلاً عن الصدق، كما عرض لنا **فرديناند شيلر** رأيه عن الحقيقة في مقابل مثالية **برادلي**، و الرد على إعتراضات أخرى[1].

مفهوم الصدق عند وليم جيمس في مقابل المذهب العقلي:

عبر **وليم جيمس** عن نظرية الحقيقة، و استخدم عدة طرق لمعالجتها، و ذلك للتحقق من صدق الأفكار و صحتها، و قد تناول تلط الطرق إنطلاقًا من نزعته التجريبية و ليس من منطلق عقلي و كموقف للمذهب العقلي الذي يؤكد على مطابقة الحقائق الأزلية، أما **جيمس** فيرى أن عمل الإنسان و منافعه مرتبطة بالحقيقة[2]، و في هذا الصدد يقول **وليم جيمس** "بيد أن الغرض الأكبر لأصحاب المذهب العقلي هو أن الحق يعني بالضرورة علاقة جامدة هامدة غير متحركة، أم البرجماتية تسأل السؤال المعتاد فتقول "إذا سلمنا بأن فكرة أو معتقدًا صحيحًا، فما هو الفرق الملموس الذي يحدثه كونه صحيحًا في الحياة الواقعية لأي إمرئ؟ كيف تتحقق الحقيقة؟ ماهي الخبرات التي ستكون مختلفة عن تلك التي تحدث إذا كان المعتقد زائفًا باطلاً؟ و بالاختصار ماهي القيمة الفورية للحق اختباريًا و تجريبيًا و ممارسة؟[3]

" و في اللحظة التي تسأل فيها البرجماتية هذا السؤال فإنها تجد الجواب "الأفكار الصحيحة هي تلك التي يتسنى لنا أن نتمثلها و ندفع بمشروعيتها، و صدقها و صحتها و نعززها و نوثقها و نؤيدها و نحققها بأن نقيم عليها الدليل، و الأفكار الباطلة هي تلك التي لا يتسنى لنا ذلك بالنسبة لها"[4]، و إنطلاقًا من هذه التصورات يزعم **جيمس** أن البرجماتية نظرية في ماهية الحقيقة و منهج لحسم الخلافات الفلسفية، و الحقيقة على نوعين لأن موضوع التصور يكون إما منهج عملي أو شيء خارجي يرضي حاجة نفسية فتؤدي بنا الحقيقة إلى الإحساس

1)– صلاح، اسماعيل، نظرية المعرفة المعاصرة، الدار المصرية السعودية للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2005، ص 90

2)– محمد ،عبد الحفيظ، مرجع سابق ، ص 83، ص 86

3)– وليام، جيمس، البرجماتية، مصدر سابق ، ص 236

4المصدر نفسه، ص 237

بالأشياء و ليس التطابق لها[1]، إذ تكون أي فكرة فكرة صحيحة كلما كان لها إنعكاسات طيبة، و كان بالإمكان تمحيصها و بناء على ذلك نجد أن:

أ- الحقيقة تكسو الفكرة.

ب- تصبح الفكرة حقيقية بل تفوق في ذلك العوامل، الوقائع، الأحداث، فإذا كان بالإمكان أي كلمة أن تتحمل بمعنيين، فنقول بأن المعنى القابل للتمحيص الحرفي هو المعنى الحقيقي و الصحيح أما المعنى الآخر فلا[2].

يقول **جيمس** "إن صحة فكرة ليست صفة أو خاصية راكدة كاسدة متوقفة عن التقدم أو النماء و وليدة ذاتها، إنها تصبح صحيحة أو حقيقية، إن الأحداث تجعلها صحيحة أو حقيقة ... إن صدقها أو حقها يكون في الواقع حدثًا سبيلاً: ألا و هو سبيل إقامة الدليل على تحقيق نفسها و صدقها هو سبيل الدفع بالمشروعية و تصحيح نفسها، و لكن ماذا يعني هذان اللفظان نفسهما برجماتيًا: الإثبات أو التحقيق و لفظ التصحيح أو الدفع بالمشروعية؟ إنهما يدلان على نتائج عملية معينة للفكرة المثبتة أو المدفوع بمشروعيتها"[3]، و ذلك أن الحقيقة ليست خاصية ملازمة و في جميع الحالات، و لكنها يمكن أن تكون ذلك المعتقد الصحيح و المعنى النافع من خلال تصورنا له[4]، و يصرح **جيمس** في قوله " الأفكار التي تنبئنا أيًا منها نتوقع هي التي تعد الأفكار الصحيحة في كل هذا المجال الأولي من التحقيق و السعي في طلب مثل هذه الأفكار هو واجب إنساني أولي، إن حيازة الحقيقة أبعد ما تكون هنا كونها غاية لا في ذاتها لا تزيد عن كونها وسيلة أو أداة أولية لبلوغ ضروب أخرى من الإشباع و الرضا و السرور و الحيوية"[5]، أي أن **جيمس** يربط الحقيقة بالتنبأ و الإحساس الإنساني، كما يرى أن الحقيقة الصحيحة تتعلق بالنفع الذي يعود علينا في حياتنا العملية، و ذلك عن طريق التجربة[6].

---

1)- يوسف، كرم، مرجع سابق ، ص 418

5)- Gerard deledalle, la philosophie américaine, PUF, Flammarion gréniant, 1983, page 150

2)- وليام، جيمس، البرجماتية، مصدر سابق، ص 237

3)- يوسف ،كرم، مرجع سابق ، ص 418

4)- وليام، جيمس، البرجماتية، مصدر سابق، ص 239

5)- أمل ،مبروك، مفهوم الحقيقة، "دراسة فلسفية"، مرجع سابق ، 124

عرف **وليم جيمس** الصدق و ربطه بنظام الواقع و الإنسانية في قوله "إن الحقيقة تعيش في الواقع من الأمر في معظمها على نظام النسيئة بطريقة الإئتمان و فتح حساب، فأفكارنا و معتقداتنا "تصرف" ما دامت لا يتحداها أي شيء تمامًا مثلما تصر أوراق النقد ما دام لا يرفضها أحد"[1] أي ان الدور المؤثر الذي ينبغي أن تلعبه الأفكار و المعتقدات في حياتنا هو عندما يتحقق صدق الفكرة و التي بدورها تحقق قيمة فورية منصرفة، التي أساء الكثيرون فهمها، فلقد عبر عنها **جيمس** من أجل التحقق العملي[2] الذي يبنى على أساس تجريبي حسي و أنه من صنع الإنسان و الصدق وسيلة لتحقيق أغراضنا و هو علاقة بين شيئين: فكرة و واقع خارج على الفكرة، أما العقليون يتصورون الصدق أولا ليس وسيلة و إنما غاية معرفتنا و ثانيًا أنه ليس حسي بل مجرد مستقل عن التجربة فهو مستقل عن الإنسان[3].

نقد: و كأن الفكرة الصادقة عند جيمس محل البيع و الشراء، و أنها تعرض في السوق ما دامت "تصرف" كنقد و الذي يعد شيئًا ماديًا، و هنا تعزيز جيمس لفكرة المنفعة، و هذه مغالاة لا يجب الأخذ بها في جميع الأحوال و الظروف، فالحقيقة حقيقة سواءًا تضرنا أو تنفعنا و في نفس الوقت تكلم **جيمس** عن القيمة و أي قيمة و هو يطيح بعظمة الصدق، و يهبط بها إلى هذا المستوى أو هذه الدرجة من الإنحطاط.

1)– وليام ،جيمس، البرجماتية، مصدر سابق، ص 245

2)– مصطفى، النشار، مدخل إلى الفلسفة النظرية و التطبيقية، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، القاهرة، د(ط)، 2008، ص 137

3)– دعاء ،محمد عبد النظير، حماد، الأسس اللاعقلية في الفكر الفلسفي المعاصر، الحضري للطباعة، الإسكندرية، د(ط)، 2010، ص 435

المطلب الثالث: الصدق العملي و معيار النجاح

ربط **وليم جيمس** بين صدق القضية و قيمة المنفعة، و يتبن ذلك من خلال المثال الذي طرحه لنا حينما قال "إذا قدر لي أن أظل طريقي في الغابة و اتضور جوعًا ثم وجدت ما يشبه طريقًا مطروقًا للبقر فإنه لأمر بالغ الأهمية إلى الدرجة القصوى أين يتعين علي ان أعتقد بوجود مقام أو مأوى إنساني في نهايته لأنني إذا فعلت ذلك و مضيت في أثره، فسأنقذ حياتي، إن الفكرة الصحيحة نافعة هنا لأن المقام أو المأوى الذي هو هدفها أو موضوعها نافع و من ثم فإن القيمة العملية للأفكار الصحيحة تشتق بصفة أولية من الأهمية العملية لموضوعاتها بالنسبة لنا"[1]، يقصد **جيمس** من خلال كلامه هذا أن الأسباب و الحلول هي وجود حقيقي صحيح مرتبط بالفعل الإنساني و بتزاوج الأشياء بالواقع الخارج عن الذهن. يؤدي بنا إلى منفعة و في الوقت نفسه إلى حقيقة صحيحة[2] و على حسب كلام **جيمس** يظهر أن الحق و النفع يأخذان صفة واحدة و ترادف في المعنى و كأن الفكرة تقاس بأثرها سواءًا كانت ناجحة أم لا بحيث توضع قيمة في هذه الحياة[3] كأن الحق عند جيمس طريقة عمل من أجل تحقيق هدف أسمى لبلوغ قيمة من القيم، فنقول عن قيمة نافعة لأنها حق، أو إنها حق لأنها نافعة[4]، كما يرى "أن الأفكار تصبح صادقة بقدر ما تساعدنا على ان نربطها بإجزاء بأخرى من خبراتنا بطريقة تؤدي إلى سلوك ناجح في الحياة" و "الفكرة صادقة إذا كانت تعمل" و "الفكرة صادقة إذا كانت لها نتائج عملية تقودنا إلى الموضوع المقصود بها إدراكه" و أيضًا "القضية صادقة إذا كانت تعطينا أكبر كم من الرضا بما في ذلك إرضاء الذوق"[5].

1)– وليام، جيمس، البرجماتية، (مصدر سابق)، ص 240

2)– محمد ،سليمان حسن، دراسات في الفلسفة الأوربية، دار علاء الدين للنشر و التوزيع، دمشق، ط1، 1998، ص 43

3)– هنية ،مفتاح، القماطي، نظرية القيمة عند كلينر لويس، كلية الآداب، جامعة بن غازي، فاريونس، ط1، 2001، ص 102

4)– زكي ،نجيب محمود، من زاوية فلسفية، دار الشروق، بيروت، ط4، 1993، ص 213

5)– حربي، عباس عطيتو، موزه محمد عبيداني، مدخل إلى الفلسفة و مشكلاتها، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 188

ما هو التصور الذي أتى به وليم جيمس لمعنى المطابقة التقليدية و الواقع؟

يرى **وليم جيمس** بأن: "الصدق مطابقة الفكرة للواقع، اولاً يقوم جيمس بإعطاء مفهوم أو تصور للواقع يقول "و نحن نقصد بكلمة "وقائع" أو "موضوعات" هنا إما أشياء البداهة كالتواريخ و الأماكن و المسافات و الأنواع في متابعة صورتنا الذهنية المتخيلة للبيت على طول طريق البقر فإننا نحصل على التحقيق الكامل للصورة الذهنية، و حقًا إن الخبرة تهيء أشكالاً أخرى من سبيل الحقيقة و لكنها كلها تدرك و تفهم على انها تحقيقات أولية يقبض عليها أو تتضاعف أو تستبدل واحد بأخرى"[1]، فواقعية **جيمس** هنا هي الأصل في وجود الواقعية الجديدة التي أورثها و حمله إحتقاره للمثالية، و أنه يعتقد أن الضمير الذاتي حيث لا يؤمن إلا بوجود مادة واحدة في العالم يتكون منها كل شيء ألا و هي التجربة الخالصة[2] التي تخضع لها ثلاثة عناصر أساسية:

الأشياء و الحوادث، الوقائع الجزئية و من ثم التطابق فيما بينها فتحدث علاقات تؤدي إلى صدق القضية أو الحادثة[3]، هنا الإقرار يكمن في شيئين هما: التأكيد على الوقائع الموضوعية و من ثم الدعاوي التي تحصل سواءاً من الأسباب أو غيرها، بحيث تؤدي إلى عمل ناجح و الذي تؤكد عليه البرجماتية في كافة ضروبها سواء عند **بيرس أوديوي** أو **جيمس** يأخذون للحقيقة معياراً و هو النجاح[4]، بمعنى أن **جيمس** تابع موقف **بيرس** فهو الذي يرى أن الفكرة الصادقة هي التي تؤدي إلى النجاح في الحياة العملية، و العقيدة الصحيحة هي التي تحقق أغراضًا نفعية، و أداة السلوك العملي لقابلية أي فكرة تصبح صوابًا نافعًا ناجحًا و معياراً قيميًا متغيراً بتغير الأحوال و الظروف و نسبيًا[5].

---

1)– وليام ،جيمس، البرجماتية، (مصدر سابق)، ص 243

2)– Gerard deledalle, la philosophie américaine, PUF, Flammarion gréniant, 1983, page 149

3)– ابراهيم، مصطفى ابراهيم، مرجع سابق ، ص 107

4)– عيسى ،عبد الله، في نظرية المعرفة، دار الكتب الوطنية القاهرة، مصر، د(ط)، 2011، ص 229

5)– محمد علي، أبو ريان، الفلسفة و مباحثها مع ترجمة كتاب "المدخل إلى الميتافيزيقيا" برغسون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط4، 2005، ص 25

يضع **جيمس** للمطابقة التقليدية معنى جديد و في الوقت ذاته حاول إيجاد نسخة شبيهة بأفكار نظرية المطابقة التقليدية، لا سيما في تأييديه على أن الحقيقة ليست صورة مطابقة للشيء، بل هي في الأحرى فكرة تقود إلى إدراك ذلك الشيء، و تحقيق الملائم في مجال السلوك و التفكير يتحدد بتحقيق الحقيقة في الخير[1]، لأنه على حسب تعبير **جيمس** "إن الأفكار الصحيحة أو الحقيقية تقودنا إلى حمى كلامي نافع و تصوري مثلما تقودنا مباشرة إلى نهايات مطاف مفيدة محسوسة فارغة، إنها تؤدي إلى الإرتباط و الإنطباق و الرصانة و الخلو من التناقض و الثبات و المعاشرة الإنسانية الدافقة في تيار إنسيابي موصول، إنها تنأى بنا عن الشذوذية و اللاقياسية و العزلة و تباعد بيننا و بين التفكير المخالص الزخرفي و تصرفنا عن التفكير العقيق، فإن كل السبل الصحيحة لابد و أن تؤدي إلى وجه خبرات محسوسة يقوم عليها الدليل بصفة مباشرة"[2] بمعنى أن الحقيقة نسبية، ما دامت تؤدي بالإنسان إلى كثير من الكلام و التناقض، و متغيرة و ليست ثابتة لأن استمراريتها في الحياة الإنسانية و عيشها تحت سلطة التجارب يكشف تغيرات بتغير خبرات الإنسان و ممارساته الفعالة في دنيا الواقع[3]، فالوصول إلى موضوع الصدق يكون بالاتصال بالتجارب الجزئية فينتج تحقيق تجريبي يتطابق مع الأفكار الصحيحة أو أن الفكرة تتطابق مع الواقع فتحدث حقيقة لا مثيل لها[4] و على هذا يعد **جيمس** "الحقيقة قبل كل شيء تعني فقط القابلية لإقامة الدليل عليها و إلا فهي حالة من الحالات التي تزجر بها حقبة صاحب المذهب العقلي من رصيد الميل فيعالج إسم واقع الظاهرة الملموس كوحدة مستقلة سابقة في الزمن و يضعها وراء الواقع كتفسير له"[5].

إن "الحقيقة في العلم هي ما تعطينا الحد إلا على الممكن من كمية التعويض و الترضية و الوفاء و السداد و الغبطة بما في ذلك الذوق، و لكن الموافقة أو الإنطباق على كل من الحقيقة السابقة و الواقع المستحدث هو

1)– إبراهيم ، ياسين ،مدخل الى الفلسفة العامة دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع ،المنصورة، ط1، 2005، ص 330، 331، 332
2)– وليام، جيمس، البرجماتية، مصدر سابق، ص 254
3)– محمد ،عبد الحفيظ، مرجع سابق ، ص 83، 84
4)– محمود ،فهمي زيدان، مرجع سابق ، ص 65
5)– وليام ،جيمس، البرجماتية، مصدر سابق، ص 259، 260

دائمًا اكثر المطالب تعسفًا"[1]، هنا يفسر **جيمس** الحقيقة و كأنها تدفع بنتائجها إلى الأمام ما دامت تبعث في الإنسانية روح الأمل و في الوقت نفسه يجعل **جيمس** من الحقيقة فظفاظة فياظة، و أن الحق شيء يحمل نوعًا من التنبؤ بما سيكون من إنجازات نحملها بحث تصدرها أفعالنا[2]. إذ كما يقر جيمس على "أن الحق يجب دائمًا أن يفضل على الباطل عندما يرتبط كلاهما بالموقف و لكن عندما لا يرتبط أيًا منهما بالموقف فإن الحق يتساوى مع الباطل في كونه ليس واجبًا"[3]، و بالتالي فالحقيقة ذات اتصال وطيد بالأفكار الإنسانية ما دام يقدم اثرًا من النتائج، و قبولاً مستمرًا للوقائع و التحقيقات المباشرة و غير المباشرة أي القوية على حسب تعبير **جيمس**، و دائمًا يسري التغيير و النسبية في كل شيء[4]، إلا أن كل هذه التصورات حول مفهوم الحقيقة لم تكن أول تجربة في البحث عن الحقيقة و تفسيره و **جيمس** يعترف بنفسه بأن "الفلسفة البرجماتية اسم جديد لوسائل فكرية قديمة" و لكن المقصود هنا هو تلك المنفعة التي أتى بها الإنسان من الفكر القديم و اتخذها سبيل له أما الأفكار التي لا تقودنا إلى مستوى من القيم و الاثار و النتائج الإيجابية فلا داعي إلى الإعتراف و الأخذ بها حتى و لو خضعت للتجربة و الإختبار الذي يمر به الإنسان[5].

---

1)– William james, le pragmatism, TR: ele le brun, introduction, H Bergson, P.U.F, Paris, Flammarion, 1968, page 154

2)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 39، ص 43

3)– وليام، جيمس، البرجماتية، (مصدر سابق)، ص 273

4)– عبد الكريم ،علي سعيد، اليماني، مرجع سابق ، ص 98

5)– ول، ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط6، د(ت)، ص 623

المبحث الثالث: وجهة نظر شيلر لمعنى الحقيقة

المطلب الأول: أثر السفسطائية في بناء الحقيقة

اتخذ **فرديناند شيلر** موقفًا خاصًا به، فيما يخص مشكلة الحقيقة و لا سيما في الفترة التي كان فيها على اتصال مباشر مع الفيلسوف وليم جيمس، فلقد كون هو كذلك فكرًا حاول من خلاله تشكيل صورة مثلى للمذهب الإنساني، و جعل من الفكر فكرًا فرديًا، كما رأى أن غاية النظر العقلي هو ما يستمد من التجربة التي منحها جيمس قيمة و معيار لكل حقيقة، و قد زاد عليه **شيلر** في اعتباره أن التجربة الإنسانية المتخذة من المذهب الانساني هي محاولة ابتعاد عن كل تعالي يصدره الانسان للواقع و الحق في مقابل إنسانيته[1]، و من المنطق "و نظرية الحقيقة المرتبطة به و التي هي لب مذهب **شيلر**، يشع ضوء البرجماتية على المجالات الأخرى للفلسفة"[2]، إن **شيلر** يركز على الجانب النفسي من حياتنا فيفسر به الحقيقة تفسيراً إنسانيًا برجماتيًا في مقابلتها للواقع الموضوعي المستقل الذي يقر به و من منطلق إنساني[3] "فكما يرى **شيلر** أن كل حقيقة تتقرر تبعًا لظروف الإنسان و ترتبط بوقائع إنسانية، أما الحقيقة التي ليست حقيقة للناس و لا تخدم أهدافًا و مصالح إنسانية فليس لها أن تدعي لنفسها هذا الشرف الرفيع"[4]، و بما أن في استطاعة الحقيقة أن تخدم الإنسان و ظروفه، بحيث توفر له خيراً يرمي إلى أهداف و قيم سامية فلابد و أن يكون مصطلح "صادق" مصطلحًا تقويميًا شأنه في ذلك شأن مصطلح "خير"، و أن معيار الصدق كما يرى **جيمس** هو المنفعة، و هنا يقف كل من **جيمس** و **شيلر** في مقابل مثالية **برادلي** الذي قال "أنه لكي يكون الصدق صادقًا لابد أن يكون صادقًا لشيء ما"، فهو على عكس موقفهم من الحقيقة فقد جعل فيها سمة التناظر في الاستعانة بشيء كي تنتج حقيقة[5].

---

1)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 50

2)– رودلف، متس، مرجع سابق ، ص 23

3)– عيسى ،عبد الله، في نظرية المعرفة، دار الكتب الوطنية القاهرة، مصر، د(ط)، 2011، ص 229

4)– رودلف، متس، مرجع سابق ، ص 28

5)– صلاح ،اسماعيل، نظرية المعرفة المعاصرة، الدار المصرية السعودية للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2005، ص 90

استمر التعارض القائم الذي أصدره **شيلر** كموقف معاديًا و منافيًا للمثالية و أصر على أن الحقيقة ليست لأي شيء، و إنما "يجب ان تكون الحقيقة في خدمة الحياة، و أن تستقر بين ظهرا نينا و ألا تنسحب إلى عالم لا واقعي أو فوق الواقعي أو إلى مجال عجيب لا صلة له على الإطلاق بالحياة و مشاغلها فإن كانت الحقيقة، أمرًا إنسانيًا محضًا فإن السؤال عن ماهيتها أو طريقة اقرارها أو كيفية صياغتها كما يقول شيلر، فعلينا أن نتأمل الطريقة التي تضع بها الحقائق العينية الفردية أو الأحكام الصحيحة"[1].

كما أن "لتفكيرنا غرضًا علميًا، و أن أحكام الواقع إنما تتقرر إلى حد ما على الأقل باهتماماتنا التي نختارها، و أن جميع الحقائق إنسانية و لا شيء منها مجرد و أن القول لابد ان يكون مفيدًا لكي يكون صادقًا، و القول الصادق يبدي قيمة من القيم[2]. و هذا التحقيق الذي يهم الإنسان كمقياس لجميع الحقائق و جميع الأشياء يبين أن **شيلر** متأثرًا كل التأثر بالزعيم السفسطائي **بروتا غوراس** الذي رأى أن الإنسان مقياس الأشياء جميعًا، و كأنه أي **بروتا غوراس** يفيض عن احكام الوجود بأحكام القيمة، و هذا المقياس هو الذي يحدد ذلك التميز بين الأشياء فتصدر لنا قيمً ليست مطلقة بل نسبية مختلفة، و بالتالي فالحقيقة نسبية متغيرة ما دامت تتمثل إلا في صورة أداة للعمل، و هذه الأفكار المستمدة من السفسطائية يقر بها **شيلر** و يصرح بانها ثمرة تجربة إنسانية زاخرة"[3].

قيمة الحق في خدمة الإنسانية:

يذكر لنا جيمس رأي **شيلر** في الحق بحيث قال "إن الحقيقي هو ذلك الذي يعمل و "يؤدي" و بناء على ذلك فهو يعامل كشخص يحدد التحقيق هبوطًا و إسخافًا إلى الدرك الأسفل من المنافع المادية"[4]، يتضح من خلال هذا القول أن جيمس متأثر **بشيلر** حينما أكد على تمثل الحقيقة في صورة أداة للعمل و ربطها بالإنسانية

1)– رودلف، متس، مرجع سابق ، ص 29
2)– محمد ،مهران، مرجع سابق ، ص 81
3)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 49
4)– وليم، جيمس، البرجماتية، مصدر سابق، ص 275

و قيمها، و يتجلى ذلك خاصة في افتراض **شيلر** أننا عندما نحكم بصدق، معتقد ما فإننا نزن قيمة، فكما أننا نقوم ببعض الأشياء فنقول إنها جيدة أو سيئة، جميلة أو قبيحة فكذلك، نقوم القضايا أو المعتقدات بأنها حق أو باطل، صواب أو خطأ، فالحق أو الصدق إذن شكل من أشكال القيمة، و الصواب و الخطأ قضايا تخص الفائدة أو عدمها أي الخطأ بلا فائدة، هذا معتقد غير صحيح و ليس في مصلحة الإنسان[1]، إذن فوظيفة الحق هو خدمة البشرية، أي نختار ما هو نافع و نرفض ما لا فائدة منه فالمقياس الذي نؤتيه للحقيقة هنا هو مقياس مدى تحقيق النفع في الواقع و ليس في المطابقة له[2]، و على تفسير ذلك في أن المذهب الإنساني يحاول تصور الحقيقة في اتصال كبير بمعارفنا، فلا أهمية حينئذ أن تكون الحقيقة التي تطابقها معرفتنا واقعة مطلقة ما دمنا لا نستطيع بلوغها من وجهة النظر الإنسانية، و هنا تتعارض الإنسانية مع موقف المثالية المطلقة و الواقعية الأبستمولوجية التي رأت في الحقيقة شيء مستقل عن معرفتنا، و هذا ما تنكره البرجماتية في كافة ضروبها[3].

أكد **شيلر** في فلسفته أنه لا توجد حقائق مطلقة، بل يجب أن تعم النسبية في كل شيء، و تسري هذه النسبية في متطلبات الإنسان و بلوغ الحقيقة ليس امرًا سهلاً بل ينبغي التحقق من جميع الإدعاءات التي تقضي في النهاية إلى نتائج بدورها تصدر قيمة تختلف بنسبيتها من فرد لآخر[4]، و يعرف **شيلر** القيمة قائلاً "بأنها اتجاه شخصي يقوم على الإقبال أو إعراض إزاء موضوع الإهتمام أو المصلحة" و بهذا يقيم **شيلر** فلسفته جميعًا على أساس سيكولوجي، و الحقيقة و الضلال، أو الصواب و الخطأ في نظر المذهب الإنساني قيمتان شأنها شأن اللذة و الألم، و يعود تصنيف الحقيقة مع قيم أخرى جمالية و خلقية تعود على الإنسان بمنافع كثيرة[5]، "و هكذا فيما يرى **شيلر** تندمج مشكلة الحقيقة في مشكلة القيمة، أما القيم النظرية البحتة فلا يمكن أن تعترف بها البرجماتية، فجميع القيم عملية أو نموذجها هو قيمة الخير فالحقائق قيم أو تقويمات، و القضايا الصحيحة قيمة اما القضايا

1)– جون ،هرمان، راندال، جوستاس بوخلر، مرجع سابق ، ص 157، 158
2)– توفيق ،الطويل، مرجع سابق ، ص 405
3)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 50، ص 53
4)– المرجع نفسه، ص 53
5)– صلاح، قنصوة، نظرية مرجع سابق ، ص 132

الباطلة فلها قيمة أقل"[1]، كما يمكن التمييز بين هذه القضايا التي ندعي فيها بعد تمحيصها و من هذه الإدعاءات:

1- الحقائق

2- الأخطاء

3- الأوهام

4- الأكاذيب

5- الفروض المنهجية

6- المسلمات

7- المشهورات

8- المزاح

و من هذه الإدعاءات يمكن أن تظهر الحقيقة وحدها بمعنى دقيق الذي يؤكد عليه **شيلر** و يفترض أننا في الواقع نبغي قيمة إنسانية و ذلك عندما نحكم بصدق إعتقاد ما.

فالحق "تصرف بالأشياء تصرف سيفر عند التجربة عن كونه مفيدًا في تحقيق أية غاية إنسانية في البداية و مفيدًا في تحقيق الإنسجام"، كون الحق شكل من أشكال القيمة[2]، "فإذا ما كانت الإجابات مرضية لتساؤلاتنا و إذا أدت إلى تحقيق أغراضنا و إرضاء مصالحنا، فإننا نقومها على أنها صحيحة، و إلا فإننا نقومها على أنها باطلة، فالصحة و البطلان نسبيان بالقياس إلى أهدافنا و إلى الغرض من وضع السؤال و هكذا نصل إلى الارتباط المعروف بين الحقيقة و المنفعة إلى الصيغة المشهورة القائلة بمنفعة الحقيقة"[3]، إن الحقيقة مرتبطة بما ينفعنا من خلال ممارسة نشاطنا و هذا النشاط يجلب لنا خيراً و يحقق لنا خطوات واسعة في الواقع من أجل تحقيق قيمة مثلى

1)– رودلف، متس، مرجع سابق ،ص 31

2)– محمد ،مهران، محمد، مدين، مرجع سابق ، ص 72

3)– رودلف، متس، مرجع سابق ، ص 31

و حقيقة أسمى، "فالحق صالح على الدوام لأن يكون معتقدًا من معتقداتنا"[1]، حينها الحقيقة عند **شيلر** ما هي إلا ضخم غير منظم، و لكنه غير قابل للتشكيل و هي لا تصبح واقعة أي شيء للفعل، إلا حين يتصل بها عمل الإنسان[2]، بمعنى أن للحقيقة مستويات، و صور تأتي قضايا و أحكام لا نستطيع أن نتحكم فيها في كل الأحوال، فقد تكون تحقيقات قوية، تحدث في الواقع، إذ هنالك افكار أحق من أفكار اخرى، و قيم جمالية و اخلاقية لها نسب مختلفة، مع أعلم أنه في نظر المذهب الإنساني أن الحقيقة و الظلال و الخير و الشر و سائر الفضائل و الرذائل قيم لها حق نسبي[3]، و في هذا الصدد يقول **شيلر** "معيار الفائدة يختار التقويمات الفردية للحق و يكون منها الحق الموضوعي الذي يحضى بإقرار المجتمع له، فالحق هو المفيد و المثمر و العملي الذي تميل نحوه تجربتنا التطبيقية في تحديدها لتقويماتنا للحق و إذ انتحل شيء عكس هذا لنفسه مظهر الحق و الصدق افتضح أمره عاجلاً أو آجلاً و رفض"[4].

رأى **شيلر** أنه من الواجب أن نشير اولاً إلى أن أحدًا لا يريد ان يضع الحقيقة و المنفعة على قدم المساواة، و كأن القول "إن كل ما هو صحيح نافع" يتساوى مع القول "إن كل ما هو نافع صحيح" فاللفظان كما يؤكد **شيلر** مرارًا لا يحل أحدهما محل الآخر و المنفعة بالمعنى الدقيق هي علة وجود الحقيقة من حيث إن المحال بلوغ أو تأكيد أية حقيقة ما لم تثبت فائدتها لغرض ما[5]، "و بهذا المعنى تعبر الهوة بين طريقتي الكلام اللتان تبدوين منفصلتين تمامًا: تلك التي تتحدث عن الحقيقة بوصفها منفعة، و التي تتحدث عن الحقيقة بوصفها قيمة منطقية، و من الواضح أن النظرية البرجماتية عن الحقيقة و هي النظرية التي ترى أن قيمة الحقيقة نسبية تبعًا للإنسان بوصفه مقياسًا للأشياء جميعًا و لا تعترف بحقيقة لا يضعها الإنسان و تسري مستقلة عن هذه النظرية نسبية و ذاتية"[6]،

---

1)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 72

2)– Serge hutin, la philosophie anglaise et américaine, P.U.F, 27eme ed, Paris, page 67

3)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 70، 71

4)– جون، هرمان، راندال، جوستاس بوخلر، مرجع سابق ، ص 350

5)– رودلف ،متس، مرجع سابق ، ص 32

6)– المرجع نفسه ، ص 33

و على حسب تعبير **شيلر** أن الحق يتوقف على النتائج و هنا تفضي نزعته الإنسانية إلى نزعة برجماتية و ما دام يؤكد على نتيجة العمل سواءاً وصل به الإنسان إلى الإيجاب أو السلب، الحق أو الباطل لابد من جلب منفعة لا مضرة[1]، و مادامت الحقيقة إشباع لغاية فلابد و أن تكون لغاية إنسانية، فالحقيقة و الإنسانية مرتبطتان ارتباطاً وثيقًا و على هذا نعدها حقيقة إنسانية بالدرجة الأولى، و حقيقة عمل نافع بالدرجة الثانية، و لكن القول بأن كل حقيقة نافعة لا يعني أن يكون كل نافع حق لأن في المنفعة على حد تعبير جيمس علاقات معقدة[2].

نقد: هنا يختلف **فرديناند شيلر** عن زميله وليم جيمس في منح تفسير للحقيقة، و يظهر ذلك في كون **شيلر** يرفض القول في ان كل ما هو نافع هو بالتأكيد يعد حقًا، و هنا تظهر إنسانية عكس جيمس الذي يرى أن كل نافع حق، فالهدف الذي طمح إليه **شيلر** هو أن في الحقيقة نمو و تطور ما دامت قابلة للتغير و أنها ليست حقيقة مطلقة في مجال تطبيق العملي الإنساني[3].

إن الجانب الأكبر من الإنسانية يتمثل في الحصول على قيم متفاوتة فيما بينها و مختلفة أي يمكن أن تكون نسبية أو موضوعية، و صنع الحقيقة التي تتحقق وفقًا لمطالب الإنسان موضع كذلك للواقع الذي يقبل لأن يتشكل، و الغايات الإنسانية تتعلق بتلك الحقيقة التي نبحث و التي هي قابلة للتغير و التدرج[4].

إذ لابد على حد قول **شيلر** "أنه قد اتضح الآن الفهم البرجماتي للحقيقة دينامي تمامًا، فالحقيقة ليست شيئًا يصح أزلاً، و انها ليست جامدة قاطعة، و إنما هي متغلغلة في عملية الصيرورة فهي كشف و اختراع و هي صنع لما هو جديد و اعادة تشكيل لما هو قديم، و هي خاضعة للصراع من أجل الوجود، و ينبغي لها أن تداوم بلا انقطاع عن العمل من أجل استخلاص حقوقها و الإحتفاظ بها، فمن الواجب أن تكون الحقائق قادرة على

1)– عبد الرحمن، بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق ، ص 24

2)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 72، 73

3)– عمار، الطالبي، مدخل إلى عالم الفلسفة، دار القصبة للنشر و التوزيع، الجزائر، د(ط)، 2006، ص 237

4)– صلاح ،قنصوة، مرجع سابق ، ص 135

إلقاء بنفسها و ليس "الحقيقي" هو ما يصلح عمليًا"[1]، أي أن الصدق أو الحقيقة كما يزعم **شيلر** يصبغ بصبغة إنسانية من خلال النتائج العملية و بعد تطبيق مفهوم الصدق[2]، ننشئ من خلالها موضوعات قيمة و بذلك نبني طريقة واضحة للواقع و أن الحقيقة الجديدة ليست شيئًا سلبيًا، و إنها تعتبر إشعاعًا جديدًا، فالحقيقة من حيث الصورة هي قيمة منطقية، و من الناحية التجريبية صدق قضية يتوقف على نتائجها في الواقع، و يكمن النجاح و الفائدة كذلك في ادعاء حقيقة جديدة[3].

1)– رودلف، متس، مرجع سابق ، ص 35

2)– صلاح ،اسماعيل، نظرية المعرفة المعاصرة، الدار المصرية السعودي للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2005، ص 130

3)– عثمان ،أمين، مرجع سابق ، ص 79، 80

المطلب الثالث: قيمة الخطأ في إكتشاف الحقيقة

إنه من الأمور العارضة في تقدم و رقي المعرفة، نجد أمر الصواب و الخطأ، فتفسيرهما له فوائد منها: أنها تتمشى مع مناهج العلم الوضعي و ليس الصواب وحده هو الذي نقبله و إنما الخطأ كذلك يساهم في معرفة الحقيقة و تشكيلها نحو الإرتقاء، فهو موضوع حكمي"[1] و إن مشكلة الخطأ هي مشكلة بداية النظرية البرجماتية، ينبغي أن تدمج في هذا المذهب الفكري الطابع الدينامي لمفهوم الحقيقة يمنعنا من القول بتضاد شديد بين الخطأ و الصواب، فطالما أنه لا توجد حقيقة مطلقة فلا يوجد خطأ مطلق فكذلك اضفى **شيلر** على الخطأ معنى إيجابي و اعطاه الحق في أن يحتل مكانًا في العملية الحية لاكتشاف الحقيقة، فالخطأ يتحول إلى صواب و الصواب ينحل إلى خطأ و لا يمكنا أبدًا أن نصادف في هذا قيمة مطلقة"[2].

و يوضح **شيلر** موقفه فيقول "بالجرأة و الدراسة نستطيع أن نجعل الأشياء أكثر قابلية للتشكل، مما كان يخطر على بالنا" و إذًا يجب أن نلتمس الحقيقة في المستقبل و يجب أن تشبع حاجاتنا و النظرة "الإنسانية" المتصلة بالحقيقة والواقع حافلة بالنتائج: فهي لا تدع مكانًا للنظريات التي لا تجعل قيمة للمنحى الذي تنحوه الاهتمامات الإنسانية، و أن نضع الحقيقة فبوقائع قابلة لأن تتشكل و تشكيل الوقائع يجب أن ينظر إليه على أنه ملائم لحاجتنا"[3].

من خلال هذا القول يتضح أن **شيلر** يتفق مع جيمس إلى حد غير قليل، و يتبين ذلك الإتفاق في كونهما يركزان في فكرة الحق على النتيجة و العمل و التجربة على أرض الواقع بمعنى أن صدق الفكرة هو نتيجة إيجابية تعود علينا بفوائد جمة و من خلال العمل الإنساني المقدم يعد قيمة أسمى، اختبرت في الواقع لأن تبعث في نفسيتنا جانبًا من الرضا و السرور[4].

---

1)– عبد الرحمن ،بدوي، الإنسانية و الوجودية في الفكر العربي، دار القلم للنشر، بيروت، لبنان، د(ط)، 1982، ص 24

2)– رودلف، متس، مرجع سابق ، ص 36

3)– عثمان، أمين، مرجع سابق ، ص 81، 82

4)– جون، هرمان، راندال، جوستاس بوخلر، مرجع سابق ، ص 160

رأى **شيلر** أن الواقع البرجماتي هو الواقع بالمعنى الدقيق أي الذي نتعامل معه، و نستطيع أن نسمي ما هو امامنا المادة الخام للواقع، و لكن علينا ألا نتصور هذا على أنه كتلة جامدة، و إنما على أنه مادة قابلة للتغير و التشكل و الصياغة أي شيء مرن، فالعالم ليس واقعة جاهزة مستقلة عنا، و إنما هو مطلوب نتقدم به إلى المعطى أي أنه موضوع للفعل بالمعنى الأصلي للكلمة و هو المعنى الذي تكشف به اللغة عن طابعها البرجماتي، و لا ينظر إلى الواقع بدوره على أنه أحد العوامل المتوقفة على الإنسان فلا يمكن أن تعترف البرجماتية بواقع موضوعي مستقلاً عن الإنسان[1]، و على هذا فلكي يصبح كل اقتراح صحيحًا يجب أن يكون مستعملاً، يجب أن يقدم قيمة، فليس هناك حقيقة مطلقة و هي ليست موضوعة دفعة واحدة بل تكتشف تدريجيًا، و الأفكار اللامعروفة و المطلقة و الناقصة ليس لها معنى، إذ كل شيء يجب أن يدرس بالنسبة إلى الإنسان فالحقيقة مستقلة عن حياة الإنسان، و متعلقة باحتياجاته، تضع من طرفنا و تتعلق بتجربتنا، و تعطي خلال تطورها الإدراكي ميلادًا لكل ما نسميه مطلق[2]، و يلخص **شيلر** رأيه في العبارة التالية "إذا اعتبرنا الواقع المادي في تقويم الحق قلنا أن الحق قد يسمي الوظيفة النهائية لفعاليتنا التفكيرية، أما إذا اعتبرنا الأشياء التي نعدها صحيحة حقًا، فالحق هو تصرفنا بالأشياء تصرفا يسفر عند التجربة عن كونه مفيدًا في تحقيق أية غاية إنسانية في البداية و مفيدًا في تحقيق الإنسجام التام الكامل في حياتنا، الإنسجام الذي يمثل مطمحنا الأقصى في النهاية"[3]، أي أن الحقيقة على حسب تعبير **شيلر** ترد إلى النفع، و ليست هي النفع في حد ذاته و الذي يعبر بدوره عن الوسائل و الغايات في نهاية الأمر، و هنا نجد أن **جيمس** تأثر **بشيلر** و أقر بأنه قد نجح في إعطاء المستفاد الوحيد الصامد و كذلك **جون ديوي** في تفسيره للحق، إذن فالحق لديهم نوع خاص من الخير أو الرضى، و الإرادة، فالبرجماتية تحاول أن تبين ما يحدث بالفعل في صنع الحقيقة، و أن تتبين على أي و جهليتم التمييز بين ما هو باطل و ما هو حق، و على الرغم من تأكيد البرجماتيين للنسبية إلا أننا نجد أنهم يرون في المصلحة الإنسانية شيء حيوي و بصفة مطلقة في الحقيقة، و هذا ما اختلف فيه العقليون و غيرهم من النقاد في تفسير الحقيقة و إعطاء معيار أوضح لها[4].

---

1)– رودلف،، متس، مرجع سابق ، ص 38

2)– Serge hutin, la philosophie anglaise et américaine, P.U.F, Paris, page 67, 68

3)– جون هرمان، راندال، جوستاس بوخلر، مرجع سابق ، ص 159

4)– عبد الرحمن، بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق ، ص 25

المبحث الرابع: دور الحقيقة البرجماتية و موقف الإسلام منها

المطلب الأول: التضييق البرجماتي لمفهوم الحقيقة

تعرضت فلسفة البرجماتيين **شيلر** و **وليم جيمس** إلى كثير من سهام النقد، و ذلك فيما يخص المسألتين التي تناولاها و هما موضوع الإنسانية و مشكلة الصدق التي أكدا على أن معيارها هو نجاح الفكرة عمليًا، قد وضعوا عليها بعض الملاحظات و لعل من أهمها:

أولاً: تركيز البرجماتيين على تحقيق الآثار العملية الناتجة عن الفكرة الصادقة و كمعيار للحقيقة، و هنا قد ضيقت البرجماتية من مفهوم الحقيقة إهمال إلى حد غير بعيد للجانب الإنساني، فالمنفعة ليست شرطًا محكومًا على مصير الإنسان، لأنه مثلاً إذا كانت بعض الصفات المذمومة كالكذب و السرقة في نظر البرجماتي تؤدي به إلى الغرض المطلوب، فإن الدين الإسلامي يرفض هذا لأن الكذب و السرقة تؤدي بنا إلى التهلكة و هما بذلك من الأمور المحرمة[1].

ثانيًا: نجد أن **جيمس** الذي ركز أكثر على مشكلة الحقيقة قد واجه تعارضات حينما طبق الحقيقة على الحقائق العلمية، و رأى فيها نظرة جديدة، فقد اعترض على الحقيقة عندما أيد ما هو ذاتي، و رأى في الحقائق العلمية أنها حقائق غير شخصية[2]، و هنا يعترض إميل برهييه ،**جيمس** في أن هذا التعريف للحقيقة عند **جيمس** ليس له معنى، إذا نراها منفصلة تمامًا عن النظرة للعالم الذي أتى به، و من يأتي به إذ لا يمكن تطبيقه في سياق محدد[3]، فمثلاً نجد أن جيمس قد استخدم على اصطلاح القيمة الفورية، لما نصفه بأنه صادق قد أساء في استخدام مفهوم الصدق عندما جعل من عبارات الصدق و كأنها تصرف مثل تصرف أوراق النقد و جعل منها قيمة، و أي قيمة خلقية لما ينظر إلى الحقيقة و كأنها سلع تباع و تشترى و صدق الفكرة في مدى التعامل بها[4] كأن

---

1)– حربي ،عباس عطيتو، موزه محمد عبيداني، مدخل إلى الفلسفة و مشكلاتها، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ط1، ص 190

2)– محمد، عبد الحفيظ، مرجع سابق ، ص 91، ص 94

3)– Emile brehier, histoire de la ,philosophie, XX E VII siècle idea, cérès edition, PUF, Paris, 1994, page 161

4)– عبد الكريم، علي سعيد، اليماني مرجع سابق ، ص 90

نظريته في الصدق هذه تجاهلت مشاكل الفلسفة النظرية، و في الوقت نفسه يدعو إلى المساهمة في رقي الإنسانية بالتجديد و العمل و الأمل، و لكن هذا ما لا يقبله معارضي هذه الفلسفة البرجماتية، و أساءوا التفكير في فهمهم لكلمة عملي التي وردها **جيمس**، فهم يرون فيه و المنفعة إنكار المشاكل الفلسفية النظرية أي برفض أي تأمل نظري[1].

إن الإنسانية تؤمن بأفكار كثيرة لها نتائج غير مباشرة في حياة الإنسان و لكنها لا تستطيع أن تؤدي إلى نتائج مباشرة، كالربط مثلاً بين الإيمان بفكرة صادقة و بين نتائجها العملية من باب توسيع فكرة الحقيقة و هنا يظهر ذلك الاختلاف و المغالاة التي لا تتقبلها الانسانية و هذا ما وقع فيه **جيمس** حينما وسع من فكرة الحقيقة البرجماتية[2]، و يؤكد على ذلك حينما قال "لقد كتبت أن الصدق هو الملائم في طريق تفكيرنا، و ما كنت أتوقع أن يظن بي اتجاه ذاتي حين كتبت أن الصدق مطابقة لباقي الآراء الصادقة"، بمعنى أن **جيمس** يربط الصدق بالحس، و بعده عن الذاتية على الرغم من اتهامه لها، فهو يتمسك بما يرضي الإنسان و يقيم للإنسانية وزنًا، و من الفلاسفة الذين اتهموه و اعترضوا له نجد معاصره برادلي الذي رأى في الحقيقة شيء مطبق، أما **جيمس** فيصر على رأيه و هو أن تكون الحقيقة علاقة محسوسة و شيء يمكن تحقيقه[3] كشيء ينفعنا، و من أجل استمرار الحياة و تحقيق الرضا و الغبطة في النفس الإنسانية يقول "إن الرضا عن الفكرة و الإقتناع بها هما اللذان يحددان صدق الفكرة"، هنا يوجه **جيمس** بعض الذاتية للحقيقة الصادقة، و الإقتناع الذي يتكلم عنه **جيمس** يمكن ان يحصل من العاطفة مثلاً فتحكم على الأشياء بالصدق أو الكذب، فيحدث إذا في الحقيقة إختلال في التوازن[4].

نقد: و كأن الإحساس و العاطفة أو الوجدان الذي ينبع من الإنسان و التي تعد كوقائع إنسانية نفسية في نظر جيمس هي حقيقة، و هنا يبطل الحكم على الصدق بأنه مادام يرى أن الإحساس بالسرور شيء صادق حتى

1)– تامر، زروقي، الاعتقاد و الحقيقة عند وليم جيمس، ماجيستر في الفلسفة، إشراف أ.د: البخاري حمانة، كلية العلوم الاجتماعية، وهران، الجزائر، 2010، ص 141

2)– حربي ،عباس عطيتو، موزه محمد عبيداني، مرجع سابق ، ص 191

3)– محمود، فهمي زيدان، مرجع سابق ، ص 67

4)– المرجع نفسه، ص 70، 71

و لو كان الأفراد الآخرين لا يحسون بذلك السرور، فعلى حسب تعبير جيمس أنه إذا كان الكذب ينفعنا فهو صادق، أو إذا كانت الخيانة ترضي مشاعرنا و تبعث في نفوسنا الاقتناع بالحاجة فنعدها صدقًا و نلتمس فيها أثرًا نافعًا و إيجابيًا، و ما ندركه نحن أن الميول و الرغبات شيء عارضي وقتي.

رأى **جيمس** أنه أعطى تفسيراً للحقيقة و اعترف بانه تأثر **بشيلر** و **ديوي** و رأى أنهما كذلك تعرضا لسهام النقد، يقول "و عندما يفسر **شيلر** و **ديوي** ما يقصد الناس بالحقيقة فإنهما يتهمان بإنكار وجودها، و يقول ناقدوهم إن هؤلاء البرجماتيين يحطمون كل المعايير الموضوعية و يستوي عندهم الخبل و الحكمة إذ يضعونها على مستوى واحد، و من العبارات الاصطلاحية المحببة لديهم في وصف مذهب **شيلر** و مذهبي، هي أننا شخصان نحسب أنه بقول المرأ أي شيء يجد من السرور أن يقوله و أن يسميه الحقيقة فإنك بذلك تحقق كل مطلب برجماتي"[1]، و هنا يبرأ **جيمس** نفسه و صديقيه **شيلر** و **ديوي** من بعض التهم و أنهم لم يكونوا يقصدون في الحسبان أن يقعوا في بعض الشباك و الأفكار التي تعترض رأيهم في الحق، و هذا الرأي الذي جلب للبرجماتية جميع الأعاصير على الرغم من ردود فعلهم القوية على الهجومات الشرسة، و من الردود نجد تأكيد **جيمس** لفكرة الإرادة بحيث منحوها كل السبل من أجل حل مشكلة الصدق[2] و ما ذهب إليه **جيمس** و البرجماتيون من أن قضايا حقيقية لأنها مفيدة عمليًا يبدو نسقًا للحقائق العلمية من أساسها، كما أن البرجماتية تفتقر إلى الموضوعية في عملية بحثها عن الحقيقة، و هكذا ينطبق عليهم في القرآني: قال الله تعالى "أفرأيت من إتخذ إلهه هواه و أضله الله على علم"[3]. رأى **إميل برهييه** "أن **بروتا غوراس** الذي أخذ به **شيلر** كان أصدق من **أفلاطون**، لا تقتضي المعرفة أي ثنائية و لا يوجد أي إشارة إلى حقيقة واقعة محددة فيتبين أن **شيلر** يؤمن بنظرية الأنا، و يبدو أن اعتقاده هو نوع من الميتافيزيقيا التطورية، إذ اخذنا التطور بطريقة مختلفة **لسبنسر** باعتبارها عملية حقيقية و لا رجعة فيها من عالم ناقص باستمرار التي تكملها المبادرات الفردية و الغير متوقعة، هذا المذهب التطوري

1)– وليام ،جيمس، البرجماتية، مصدر سابق ،ص 274

2)– يعقوب ،فام، مرجع سابق ، ص 289، 290

3)– محمد، شيخاني، التيارات الفكرية المعاصرة و الحملة على الإسلام، دار قتيبة للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص 331، 332

يفسر لإتجاه، نحو نظرية الأنا ذلك التناغم الفكري و الحر مع تفاعلات جديدة يمكن أن تختلف من عوالم مختلفة، يعترف **شيلر** بخلاص نهائي و إنسجام تام و إله واحد"[1].

إن الحق هو المفيد، هذا ما نجده في قول **شيلر**، فهل عني **شيلر** باحتياج عملي؟

من الإقتباسة السابقة أن **شيلر** يرى تلك المعتقدات التي تقدم في النهاية السعادة الإنسانية هي صائبة حقة، بينما تلك التي لا تفعل ذلك هي معتقدات خاطئة باطلة، و لذلك نجد أن شيلر قد أوضح بعض الشيء ذلك الغموض الذي وقع للفظة "مفيد"[2] يقول **شيلر** "إن الأمر الحاسم الذي جعلنا نرفض نظرية تعدد الأفلاك التي قال بها بطليموس، و نؤثر عليها علم الفلك الكوبرنيكي ما لم يكن إخفاقها في تمثيل الحركات السماوية بل تزايد وطأة إفتراضها، و الصعوبة المتزايدة للعمليات الحسابية التي تنطوي عليها صحتها"، يظهر من خلال هذه الإقتباسة أن **شيلر** يرى في النظريات تعبيرات أخلاقية و جمالية، إذ يمكن إكتشاف نظرية أبسط من النظرية الكوبرنيكية، نقوم بها الحق، و تكون في نفس الوقت مفهومة إجتماعيًا[3]، و يعتقد كذلك **جيمس** حينما يقول "إن الناس يعتقدون في القرون الماضية أن الأرض مسطحة، و نحن نعتقد اليوم أنها مستديرة، و كأن الحقيقة الأولى في أن الأرض مسطحة قد بطلت و تغيرت على حسب الزمن، إذن فالحقيقة متغيرة، و هذا ما لا يصدقه العقل البشري لأن الحقيقة في أصلها ثابتة و لا يمكن أن تتغير بتغير النفس أو الظروف أو الإعتقاد، و قد يبطل كلام **جيمس** حينما يأخذ بكلام الناس علميًا و ما يفيدهم دون أن يبحث في حقيقة شكل الأرض فكان الحقيقة عندهم إكتشاف لا إختراع كما قال **برغسون**، و ان آراء الناس نسبية و الحقيقة مطلقة لأنها لا تكون دائمًا مفيدة للناس باعتبار وظيفتها"[4].

1)– Emile brehier, histoire de la ,philosophie, page 162, 163

2)– جون هرمان، راندال، جوستاس بوخلر، مرجع سابق ، ص 159

3)– المرجع نفسه، ص 159

4)– عمار، الطالبي، مدخل إلى عالم الفلسفة، دار القصبة للنشر و التوزيع، الجزائر، د(ط)، 2006، ص 234، ص 238

المطلب الثاني: الحقيقة البرجماتية بين الرفض و القبول

إن تفسير الذي منحته البرجماتية إلى الحقيقة، قد بدى ناقصًا لأنها ركزت بكل قواها على معيار النجاح الذي يستدل من العمل و الإبتعاد عن كل تأمل أو تفكر نظري و لهذا افتقر فلاسفة البرجماتية **شيلر** و **جيمس** لأن يكونوا فلسفة بالمعنى الصحيح[1]، و بما أن البرجماتية كانت منتشرة أكثر في المجتمع الأمريكي و كحضارة متطورة، نجد أن الصدق الذي كانت تعنيه قد أثر بشكل إيجابي و سلبي في ذلك النمو و التقدم السريع لتلك الحضارة، و تجسد ذلك في مطامع الأمريكيين نحو الإستغلال و إنحلال الأخلاق و اللهث وراء المنافع، و تفشي السرقة و الجرائم و في نفس الوقت إعلاءها من قيمة الفرد باعتمادها على الخبرة و التي تعد كمعيار للتحقق[2] كطريقة عبر عنها البرجماتيين **كديوي** و **شيلر** و بالخصوص **جيمس** في استخدام مفهوم الصدق و التحقق من الأفكار تحققًا كاملاً، و ذلك بالإهتداء إلى نموذج المبدأ الموجه منطقيًا أو تصوريًا[3] و كان شعار **جيمس** المأثور "دع كل إنسان يؤثر الجانب الذي يرتضيه، أعني له الجانب الذي يحقق له السعادة في نفسه و يهيء له حياة راضية يعيش فيها بمقتضى ما إقتنع به، و أترك للمستقبل أن يحكم على موقفه بالصواب أو الخطأ" و عن الفكرة الصحيحة النافعة قال "إن الحقيقة لا تعني شيئًا سوى التحقق التعقبي المنتظر من أحداث المستقبل"[4] يتضح من قول **جيمس** أنه إنساني بالدرجة الأولى لأنه يركز على الجانب الذي يرضي الفرد و ثانيًا لأنه متأثر بالنفس الإنسانية كونه نفسانيًا فنجده يحرص على سعادة الفرد و الأمل و الإستمرارية في الحياة و التفاؤل و التنبأ بمستقبل الإنسانية و لهذا فقد حققت البرجماتية مع **جيمس** شهرة واسعة، و لم تعد مجرد فلسفة أمريكية بل فلسفة عالمية، و يمكن أن نقول أنها تجاوزت أمريكا و انتقلت إلى أوربا و العالم المعاصر و حتى ديننا الإسلامي، و لذلك اختلف الفكر الغربي عن العالم الإسلامي، فقد حاول الغرب التوسيع من فكرة الذات و تقديس المصالح الإنسانية و رفع

---

1)– عادل ،العوا، القيمة الأخلاقية، الشركة العربية للصحافة و الطباعة و النشر، دمشق، د(ط)، 1965، ص 179

2)– محمد ،جديدي، مرجع سابق ، ص 23،ص 25

3)– ابراهيم ،مصطفى ابراهيم، مرجع سابق ، ص 82

4)– محمد ،عابد الجابري، الحضارة المعاصرة من الضرورة إلى الصيرورة، دار الفرقد للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص 91

شعارات المنافع في هذه الحياة دون سواها[1].فالباحث الحقيقي عن مفهوم الحقيقة، لا يمكن أن يكون إنسانًا نفعانيًا برجماتيًا كل يجب أن يجرد نفسه من كل منفعة منافية لأصل الحقيقة، سواءًا كانت الحقيقة علمية أو دينية او غيرهما و صرف النظر عن النتائج العملية التي يحققها الإنسان لبلوغ مستوى من الإشباع و الرضا النفسي، لأن الحقيقي يكون نافعًا لأنه حقيقي و لكن ليس العكس، أي ليس شريط أن يكون كل حقيقي حقيقي نافع و ربما يكون هذا الأمر قد غاب عن البرجماتيين في التسليم بأن المنفعة هي الأساس في فهم الحقيقة[2]، و مهما تشبثت البرجماتية بالحقيقة و العلم و الموضوعية و التجربة، فإنهما تقيم تصوراتها على التجريبية عائمة يتشكل منها المجموع الكلي للحقائق الذاتية، فالبناء الذرائعي يرفض الإعتراف بوجود معايير ثابتة للحق و الصدق و الصواب و اليقين، و يولي إهتمامًا أبديًا للذة و النجاح[3] كمبدأ للقيم، و الأخلاق الإنسانية، و على الرغم من جميع الإعتراضات و ردود الفعل التي وجهت إلى موقف **جيمس** و **شيلر** سيظل لها جوانبها المضيئة، و أن فلسفتها ما زالت قائمة، بحيث شكلت برجماتيتهم بعدًا سياسيًا و إقتصاديًا و إجتماعيًا قد طوره الفلاسفة و معاصرين لهم أمثال **جون ديوي،** فكان التأثر و التأثير سائدًا إلى يومنا[4]، فالتأثر كان مستوحى من المبدأ اليوناني القائل "بأن الإنسان هو معيار كل شيء" و أن الحقيقة مخلوقة مع الإنسان، و قديمة قدم الإنسان نفسه، في التفاعل مع الأشياء حيث كان التغير و النسبية معياران للنجاح و جوهر كل حقيقية أما التأثير كان في العطاء الذي قدماه **جيمس** و **شيلر** لمعاصريهم و ممن تأثروا بهم لأنها أكدا حق الفرد في خلق حقيقة على رغم بعض الاختلاف و التباين الذي يظهر على أفكارهم، يتفقون عند نقطة واحدة ألا و هي العمل و النجاح[5] الذي كانت تتوقف عليه روح جيمس خاصة و كمعيار غرسه في الحقيقة، فقد قال عنه برغسون (ما من أحد أحب الحقيقة حبًا آخر من حبه و ما من أحد

1)– مصطفى ،النشار، مرجع سابق ، ص 138، 139

2)– المرجع نفسه ، ص 139

3)– محمد ،عابد الجابري، مرجع سابق ، ص 94

4)– محمد، عبد الحفيظ، مرجع سابق ، ص 95

5)– ج.ن، نيللر في فلسفة التربية، ترجمة: محمد مرسي، عالم الكتب للنشر و التوزيع، د(ط)، 1972، ص 69، 70

بحث عنها بمثل هواه)[1].بقيت للبرجماتية مزايا كثيرة يمكن أن يدركها الإنسان، و يتمثل ذلك في اعتبارها أن الحقيقة التي نبحث عنها، و يمكن أن نتحصل عليها هي حقائق إنسانية، تقبل التغيير و يجوز عليها الخطأ، و التحسين من مستواه، و هنا تبعث البرجماتية في النفس الإنسانية روح الإرادة و التقدم و الأمل و الديمومة و التفاؤل، و لذلك تعد فلسفة نمو و تقدم بالعمل و التجربة المتفقان مع الواقع[2]. و من خلال هذه الأفكار يتضح أن الأخلاق البرجماتية تشبه أو تتفق مع أخلاق الدين الإسلامي في مسألة الخطأ و الغفران، فديننا الحنيف الذي يبعث في النفوس البشرية الرحمة يرى أن جميع بني آدم خطاؤون و خير الخطائين التوابين. و لكن الدين الإسلامي لا يداور و لا يناور فهو ينظر إلى الحقيقة ثابتة صارمة بعيدًا عن كل منفعة متغيرة بتغير الأحوال و الظروف، فهو يرى في الصدق ذلك الخلق النبيل، و طيبة النفس و ثبات العقل الذي يعود على المرء بالنفع لا الضرر، و يدفع به إلى معرفة شؤون الحياة سواء كانت الحقيقة إيجابية أو سلبية، و ليس الضرر في الحقيقة ضررًا قاتلاً، و إنما فيه شيء من النفع ما دام يوجد ثواب و عقاب، غفران و تسامح و رحمة بين النفوس البشرية[3]، فديننا بعيدًا عن العلمانية، لا يرفع الشعارات البراقة بلا رصيد، فهو يطبق الروح الإنسانية الحقيقية و التسامح الحقيقي فهو المنهج الرباني الحق و لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، فهو يعالج جميع المشاكل و الأمور نحو صراط مستقيم[4] و ليس العقل وحده ركيزة مهمة و أساسية في الفكر الغربي، بل يجب كذلك تقويم الإنسان، فهو مخلوق آدمي خلقه الله و كرمه على سائر الكائنات، و في ذلك تساوى الأبيض و الأسود و دون تمييز و ليس كما نجد عن الغرب الذين رأوا في الإنسان الأبيض فعالية كبيرة إلى درجة الإستعلاء و الغرور و الإستكبار و من عبادة الله اتخاذ آلهة أخرى أندادًا لله، و هذا ما لا يجوز في حق الفكر العربي[5].

1)– محمد، أحمد، منصور، موسوعة أعلام الفلسفة، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص 131

2)– محمد، مهران، محمد، مدين، مرجع سابق ، ص 73

3)– فؤاد ،محسن الراوي، الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي، دار المؤمون للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص 185

4)– محمد ،قطب، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق للطباعة و النشر، بيروت، ط8، 1993، ص 604

5)– فؤاد، محسن الراوي، مرجع سابق ، ص 185

خاتمـــــــة:

ميز الله عز و جل البشر بميزات عديدة، و فضائل جمة، و لعل أبرز هذه السمات ملكة العقل التي بها ساير الإنسان هذه الحياة و أصبح في الوقت نفسه مسؤولاً و مكلفًا و محاسبًا عن أعماله، و مصيره، فكان الثواب و العقاب لأن بني البشر مختلفون في التفكير فمنهم من أنصف في حق المور، و منهم من أفرط في استخدام العقل، و انتهج معايير المصالح و المفاسد لعقله، و اهتم بتحصيل المنافع الخاصة، و الحفاظ على بقائه دون أن يكترث لغيره فيزرع بذلك مستقبلاً مبدأه المطامع و الأنانية و بذلك يفق قيمة الإنسانية و كرامته و وجوده كإنسان و تاريخ الفكر الإنساني معني بمراجع فلسفية قديمة قدم الإنسان نفسه، و لعل من اكثر المراجع تداولاً التفكير اليوناني الذي استمد من فلاسفة البرجماتية موقفهم، فلقد اعتبر **وليم جيمس** و **شيلر** من الفلاسفة الذين دعوا إلى تطبيق الأهداف الإنسانية، و الأخذ بها في ميدان العمل، و نظروا في الحقيقة نظرة تقدم و إكتفوا بما يمليه الواقع و أنكروا في الوقت نفسه العودة إلى الماضي الذي عاش فيه غيرنا، و رأوا في المستقبل بداية كل حياة هادفة لنتائج أسمى، و إندفاع إنساني مزدهر، و هذا ما تسعى إليه الفلسفة البرجماتية في كل ضروبها، حيث يقول **جيمس** مؤكدًا ذلك "لنا الآن ان نقرر بثقة و يقين أن الرغبة في تحديد المستقبل، و في تعيينه تكون عنصرًا مهمًا من عناصر الميول الفلسفية، و أن كل فلسفة تتجاهل إشباع تلك الرغبة، و لا تعمل على ذلك، لا يمكن أن تجوز قبولاً عامًا، و بالتالي فإنها فلسفة متشائمة، و التأكيد على إمكانية الإبتكار و التقدم المتجدد، و هنا تكمن ثورية هذا المنهج، و هذه الفلسفة التي ترى أننا نعيش في اللحظة الراهنة في التحضير للمستقبل عن طريق التنبؤ بما ينبغي أن يحدث وفقًا لخطط ينبغي أن نضعها، و لكن ذلك لا يعني إلغاء الحاضر على حساب المستقبل، و هنا نلاحظ الترابط بين الحاضر و المستقبل مع استبعاد العودة للماضي".

و البرجماتية على الرغم من أنها إتجاه فلسفي لكنها وليدة الفكر الأمريكي الذي يتخذ من الذكاء طريقًا للوصول إلى السيادة و السيطرة على عالمنا العربي خاصة فهي تقدس الواقعية و حصرها للفكر الفلسفي في الجانب العملي، و هنا يمكننا النظر إليها بشيء من التشكيك و الإرتياب و إعتبارها أقل قيمة و وزنًا من الفلسفات التي عززت مواقعها في خريطة الفكر الفلسفي.

و مع ذلك فالبرجماتية فلسفة حياة تدعو إلى التقدم، و تجسد الحق إنطلاقًا من المعايير النفعية، و فهم الفلسفة على أنها أسلوب لحل المشكلات البشرية، و النظر إلى الإنسان باعتباره كائنًا فعالاً يحور الواقع وفقًا لعمله الإنساني، و لتحقيق أهدافه الإنسانية التي تعد فلسفة أخلاقية لها معاييرها، و قيمها الخاصة بها و لا سيما في الأخذ بمبدأ **شيلر** الذي أضفى على البرجماتية صورة إيجابية حقيقية لكونها فلسفة تركز على الحياة المادية على العموم أي بالإكتفاء بتأدية الخدمات لحياة الإنسان الإجتماعية من سياسة إلى إقتصاد إلى تربية و تعليم، و لكن المر في الحياة ليس رهنًا بمنفعة مؤقتة.

إن الله أحكم الحاكمين خالق الإنسان و إسلامه هو الذي منح للحق مرتبة عالية بعيدة و منزهة من المنافع، و عدم تعارض هذا الحق مع العقل السليم و لامع من فيه مصلحة الإنسان و سعادته، ففي هذا المجال الإنسانية و الصدق متسع للإنسان يخطئ فيه التقدير و يسيء الفهم إذا لم يتجرد عن الغرض و الهوى، و إذا لم يتجرد عن التحيز لآراء و معتقدات ورثها الإنسان فيما ورث و أصبحت في دمه، و عنصرًا من عناصر تكوينه يصعب عليه التخلص منه على أهون سبيل.

ملحق أ: مراحل حياة الفيلسوف وليم جيمس ـــــــــــــــ الصفحة 09

إذا عدنا و تتبعنا أولى مراحل حياة **وليم جيمس** لنجد أن فلسفته التي أقامها جاءت نتيجة بعض التأثيرات التي إنطبعت على فكره سواءًا في العلم أو في الأخلاق أو في الدين، و لد هذا الفيلسوف في الحادي عشر من يناير سنة 1842 بنيويورك من أصل أيرلندي، كان أبوه ذا شخصية دينية بحيث أثر بشكل كبير على تربيته، وقد إكتسب العلم و تعلم في مدارس عديدة و درس بعض العلوم كالعلوم الطبيعية، إطلع **وليم** و هو في كلية باريس على بعض المصنفات في علم النفس، و استغرق في ذلك فترة طويلة، و عندها بدأت شهرته واسعة في علم النفس بأمريكا سنة 1867، و بعدها عين كطبيب، و لظروفه الصحية المتدهورة لم يتم ممارسته لهذه المهنة بهارفارد سنة 1864، و لكنه أصبح مع ذلك أبرز علماء النفس.

و أما عن صفات الفليسوف **وليم جيمس**، يصف لنا الفيلسوف الإنجليزي **برتراند رسل** يقول "أما عن صفات وليم جيمس الشخصية فقد كان عطوفًا كريمًا و نصيراً قويًا للديمقراطية على خلاف شقيقه الأديب هنري جيمس، و على الرغم من أن تفكيره كان أقل عمقًا بالقياس إلى فلسفة **بيرس**، فإن شخصيته و مركزه جعلاه يمارس تأثيراً أوسع بكثير على الفكر الفلسفي و لا سيما في أمريكا"، **فجيمس** عالم فيسولوجي و عالم سيكولوجي و أن جوه العائلي قد أثر تأثيراً قويًا و ذلك يتجلي في إعتناقه بالدين و إعتقاده له متأثرًا بالتجربة و المنفعة التي رأى فيها منحى إنساني و رفض الميتافيزيقا و لكنه لم يهمل في آخر مراحل حياته بعض جوانبها، و بعد سنوات من الصراع الفكري و الصحي توفي عام 1910.

مؤلفات وليم جيمس

أهم كتاب لقي رواجًا واسعًا هو الذي تكلم عن السيكولوجيا سنة 1892

- موجز "لمبادئ علم النفس" psychology abriefer course
- "أحاديث سيكولوجية إلى المدرسين سنة 1899" talks to teatchers on psysh
- إرادة الإعتقاد و محاولات اخرى 1897
- تنوع الإختبار الديني 1902
- محاضرة بعنوان "صنوف التجربة الدينية 1906"
- و كتاب اشتهر به هو "البرجماتية" 1907، ألقى ثمانية محاضرات في معهد lowell في بوسطن تحت عنوان براجماتزم pragmatism
- "فلسفة التجربة" 1910
- "بعض مشاكل الفلسفة some problems of philisophy نشره رالف بيري سنة 1912"
- "صنوف التجربة الدينية" 1908
- "معنى الصدق" 1909، و محاضرات تحت عنوان "الكون المتعدد" Pharalistic universe

ملحق ب: لمحة من حياة الفيلسوف فرديناند شيلر: ———— الصفحة 15

مثل الفلسفة البرجماتية في إنجلترا **شيلر**، و مر هو كذلك بمراحل خلال حياته كزميله **وليم جيمس**، فقد كان اسمه الكامل (**فرديناند كاننغ سكوت** Ferdinand Canning Scott)، و لد هذا الفيلسوف المعاصر في شلزفج هولتتين بألمانيا الشمالية في مدينة أتنسن سنة 1864، عاش في إنجلترا و تعلم في مدارسها، قضى فترة طويلة في الجامعات، و تنقل بين إنجلترا و أمريكا و درس بأكسفورد، و فيها نال على دكتوراه في العلوم سنة 1906، و كان على إتصال دائم مع الفيلسوف **جيمس** بأمريكا حيث تعرفا آنذاك على أعمالهما الفكرية، متأثرين بعلم النفس كمبدأ أسسا من خلاله براغماتيتهما، عمل **شيلر** محاضراً في المنطق و الميتافيزيقا بجامعة كورنيل بنيويورك، و بعيدًا عن الدراسة و التدريس فقد كانت أقرب إلى طبيعة **شيلر** الرياضة، و بعد اجتياح دراساته في أوكسفورد و كمقر رئيسي له توفي في لوس أنجليس بكاليفورنيا سنة 1937.

أعمال فرديناند شيلر:

- مؤلف شيلر الرئيس "النزعة الإنسانية" 1903، أو ما يسمى بالمذهب الإنساني humanism
- أبحاث فلسفية (ط2 في 1912)
- دراسات في النزعة الإنسانية 1907 (ط2 في 1912)
- المنطق الصوري 1912 (ط2 في 1921) formal logic
- المنطق للإستعمال (1929)logic for use
- مدخل إلى النظرية الإرداية في المعرفة (1929)

- ألغاز أبو الهول بقلم واحد من سكان أهل الكهف (1910)

Riddles of the spttink revised edition

- البديهيات بوصفها مصادرات (1902) (مقال في كتاب "المثالية الشخصية" نشره هـ. ستيرت)
- أفلاطون أم بروتا غوراس (1908)
- مشكلات الإيمان (1924) (ط2 في 1921) problemes of belief
- و **لفرديناند شيلر** مقال "لماذا المذهب الإنساني" (1924)، "الواقع و المثالية" (1892) و أعيد طبعة في كتابه "النزعة الإنسانية"
- أينبغي أن يختلف الفلاسفة؟ (1934) must philosophers disagree
- و مقالات بعنوان: تانتالوس أو مستقبل الإنسان (1924) Tantalus, or the futur of man
- مذهب تحسين السلالات و السياسة Engenics and politics
- كاسندرا أو مستقبل الإمبراطورية البريطانية (1926) cassandra or the futur of the britist epire
- المذهب البرجماتي في دائرة المعارف البريطانية (ط4، 1929)
- المنطق مطبقًا: مدخل إلى النظرية الإرادية في المعرفة (1929)
- التحلل الإجتماعي و الإصلاح الذي يحدثه علم تحسين السلالات (1932)

فهرس الأعلام

الأعلام	تاريخ الميلاد	الصفحة
• أبيقور	342 ق.م – 270 ق.م	ص 5
• أرسطو	382 ق.م – 322 ق.م	ص 4، 16، 60، 65
• أفلاطون	427 ق.م – 347 ق.م	ص 4، 31، 60، 67
• ألفريد سد جويك	1850 م –	ص 36
• أوغست كونت	1798 م – 1857 م	ص 23، 47
• إميل برهييه	1876 م – 1952 م	ص 82
• إيمانويل كانط	1724 م – 1804 م	ص 2، 53، 54
• برادلي هربرت	1846 م – 1924 م	ص 12، 20، 36، 42، 50، 66
• براتراند رسل	1873 م – 1970 م	ص 23، 65
• بروتا غوراس	485 ق.م – 411 ق.م	ص 17، 18، 30، 31، 74
• بوزنكيت	1848 م – 1923 م	ص 36
• تشارلز ساندرس بيرس	1839 م – 1914 م	ص 43، 7، 16، 18، 70
• توماس هوبز	1588 م – 1679 م	ص 5
• جورج باركلي	1753 م – 1685 م	ص 11
• جوزيا رويس	1855 م – 1916 م	ص 36، 50
• جون ديوي	1859 م – 1952 م	ص 3، 7، 8، 9، 15، 20، 24، 26، 70، 81، 84، 86، 87
• جون لوك	1632 م – 1704 م	ص 11، 12
• جيرمي بنتام	1832 م – 1748 م	ص 5، 23
• ديفيد هيوم	1711 م – 1776 م	ص 5، 12
• سقراط	470 ق.م – 399 ق.م	ص 4
• فرديناند شيلر	1864 م – 1937 م	ص 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21،

		27، 29، 33، 34، 36، 37، 39، 40، 50، 52، 53، 56، 63، 73، 75، 78، 81، 84، 86
• هربرت سنبسر	1820 م – 1903 م	ص 31
• هنري برغسون	1859 م – 1941 م	ص 13، 85، 88
• هيرقليطس	540 ق.م – 475 ق.م	ص 4
• وليم جيمس	1842 م – 1910 م	ص 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 15، 17، 20، 21، 27، 29، 33، 34، 36، 38، 39، 40، 41، 44، 45، 47، 49، 50، 52، 53، 55، 67، 68، 70، 72، 81، 83، 85، 86

فهـرس المصطلحات

المصطلح بالعربية	بالفرنسية	بالإنجليزية
1) الأخلاق	Éthique	Ethics
2) الأداتية	Instrumentalisme	Instrumentalism
3) الأنانية	Égoïsme	Selfishness
4) الأبستمولوجيا (نظرية المعرفة)	L'épistémologie	Epistemology
5) الإتساق (نظرية)	La cohérence (théorie)	Consistency (theory)
6) الإرادة	Volonté	Will
7) الإستدلالات	Induction	Inductives
8) الإستنباطات	Déduction	Deductions
9) الإعتقاد	La croyance	Belief
10) الإنسانية	Humanisme	Humanism
11) البرجماتي	Pragmatique	Pragmatic
12) البرجماتية	Pragmatisme	Pragmatism
13) البرجماتيكية	Pragmaticisme	Pragmaticism
14) نأمـــــل	Spéculer	Specule
15) التألية (مذهب)	Deisme-pentheisme	Deisme-pentheism
16) التجربة الدينية	Expérience religieuse	Religious experience
17) التجريبية الراديكالية	Empiricisme	Empiricism
18) التحقق	Vérification	Energism
19) الترابطي (مذهب)	Arrotiationnisme	Assotiationnism
20) التصورات	Concepts	Concepts
21) تصور ديناميكي	Concept dynamique	Concept dynamic
22) التعددية	Pluralisme	Pluralism

Sensory	Sensitif	23) الحسي
Truth	Vérité	24) الحقيقة
Eternal truth	Vérité eternité	25) حقيقة أبدية
Formal truth	Vérité formel	26) حقيقة صورية
Material truth	Vérité matérialité	27) حقيقة مادية
Absolut truth	Vérité absolute	28) حقيقة مطلقة
Objective reality	Réalité objective	29) حقيقة موضوعية
Realistic truth	Vérité réalitiste	30) حقيقة واقعية
Relative truth	Vérité relative	31) حقيقة نسبية
False	Erreur	32) الخطأ
Good	Intrinsic	33) الخير
Secularism	Laïcité	34) الدهرية
Subjectivism	Subjectivisme	35) الذاتية
Vices	Vices	36) الرذائل
Stoicism	Stoïcisme	37) الرواقية
Eudaemonism	Eudaemonisme	38) السعادة
Sophistry	Sophismes	39) السفسطائية
Behavior	Comportement	40) السلوك
Psychology	Psychologique	41) سيكولوجية
Semantic theory	Semantique	42) السيمانتية (نظرية)
Evil	Evil	43) الشـــر
Scepticism	Scepticisme	44) الشك
Truth full	Véridique	45) صادق
Theory of truth	Théorie de vérité	46) الصدق (نظرية)
Truth validity	Validité	47) الصواب-الصحيح
Rationalism	Rationalisme	48) المذهب العقلي
The human mind	L'esprit humain	49) العقل الإنساني
The mind practical	La raison pratical	50) العقلي العملي

The theoretical mind	La raison theorique	(51) العقل النظري
Teleology	Téléologie	(52) الغائيـة
Virtues	Les vertus	(53) الفضائل
Theoretical philosophy	La philosophie théorique	(54) الفلسفة النظرية
Phisiologie	Phisiologie	(55) الفيسيولوجيا
Values	Valeurs	(56) القيـم
Cash value	Value cash	(57) قيمة فورية
Agnosticism	Agnosticisme	(58) اللاأدرية
Involuntary	Involontaire	(59) اللاإرادي
Hedonism	Hedonisme	(60) اللذة (مذهب)
Materialism	Materialisme	(61) المادية
Idealism	L'idéalisme	(62) المثالية (نزعة)
Rationnal recognition	Recognition rationnel	(63) المدركات العقلية
Postulates	Postulates	(64) المصادرات
Axioms	Axioms	(65) المسلمات
correspondence theory	Théorie de correspondence	(66) المطابقة (نظرية)
Absolute	Absolute	(67) المطلق
Sensory knowledge	Cognition sensorielle	(68) المعرفة الحسية
Knowledge rationnel	Cognition rationnel	(69) المعرفة العقلية
Utility	Utilirianisme	(70) المنفعة (مذهب)
Logical (theory)	Logique (théorie)	(71) المنطقية (نظرية)
Subjectivism	Subjectivisme	(72) الموضوعية
Metaphysics	La métaphysique	(73) الميتافيزيقا
Evolutionary metaphysics	Métaphysique de l'évolution	(74) الميتافيزيقا التطورية
Evolution (theory)	Évolutionnisme	(75) النشوء والارتقاء (نظرية)
Critical	Critique	(76) النقدي (مذهب)
Relativism	Relativisme	(77) النسبية
Monism	Monisme	(78) الواحدية

Realism	Réalisme	79) الواقعية
Positivisim	Positivisime	80) الوضعي (مذهب)
Existence-being	Existence	81) الوجود
Human existence	Existence humaine	82) الوجود الإنساني
Material of being	Existence materiel	83) الوجود المادي
Existentialism	Existentialisme	84) الوجودية

فهـــرس الموضوعات

مقدمـــــــة ..... أ-ز

الفصل الأول: أثر الفلسفة الإنجليزية في الفكر البرجماتي 27-2

- **المبحث الأول:** معنى البرجماتية أصولها و أهم أفكارها 8-2
  - **المطلب الأول:** تحديد معنى البرجماتية 3-2
  - **المطلب الثاني:** الأصول الأخلاقية للبرجماتية 6-4
  - **المطلب الثالث:** أهم أفكار البرجماتية 8-7
- **المبحث الثاني:** الجذور الإنجليزية للنزعة التجريبية عند وليم جيمس 14-9
  - **المطلب الأول:** أهمية وليم جيمس في نسر البرجماتية 11-9
  - **المطلب الثاني:** مفهوم التجريبية عند وليم جيمس و أثرها الفلسفي 14-12
- **المبحث الثالث:** الحضور الإنجليزي في الفلسفة البرجماتية 27-15
  - **المطلب الأول:** المنطلقات الحقيقية للأثر البرجماتي 21-15
  - **المطلب الثاني:** رواد النزعة الإنسانية 27-22

الفصل الثاني: مفهوم النزعة الإنسانية عند فرديناند شيلر و وليم جيمس 57-29

- المبحث الأول: شيلر و المذهب الإنساني بين التأسيس و التطبيق 38-29
  - **المطلب الأول:** تأسيس فكرة الإنسانية عند فرديناند شيلر 31-29
  - **المطلب الثاني:** قيمة الأفعال الإنسانية و تأثيراتها على الواقع البرجماتي 38-32
- **المبحث الثاني:** مفهوم الإنسانية عند وليم جيمس 49-38
  - **المطلب الأول:** أثر المنفعة في النزعة الإنسانية 43-38
  - **المطلب الثاني:** ربط الإرادة بالإنسانية 49-44
- **المبحث الثالث:** المكانة الأخلاقية للإنسانية البرجماتية 57-50
  - **المطلب الأول:** التركيز على تصور الإنسانية عند فرديناند شيلر 52-50

- **المطلب الثاني:** دور العقل الإنساني في إحياء الصدق و النجاح 57-53

الفصل الثالث: الحقيقة البرجماتية بين موقفين (فرديناند شيلر و وليم جيمس) 89-59

- **المبحث الأول:** مفهوم الحقيقة، أنواعها و أهم معاييرها 63-59
  - **المطلب الأول:** تحديد معنى الحقيقة..... 61-59
  - **المطلب الثاني:** أنواع الحقائق وأهم معاييرها..... 63-61
- **المبحث الثاني:** تصور وليم جيمس للحقيقة 72-64
  - **المطلب الأول:** أثر النظريات التقليدية في تفسير الحقيقة 66-64
  - **المطلب الثاني:** الصدق عند وليم جيمس في مقابل المذهب العقلي 68-66
  - **المطلب الثالث:** الصدق العملي و معيار النجاح 72-69
- **المبحث الثالث:** وجهة نظر شيلر لمعنى الحقيقة 81-73
  - **المطلب الأول:** أثر السفسطائية في بناء الحقيقة 74-73
  - **المطلب الثاني:** قيمة الحق في خدمة الإنسانية 79-74
  - **المطلب الثالث:** قيمة الخطأ في إكتشاف الحقيقة 81-80
- **المبحث الرابع:** دور الحقيقة البرجماتية و موقف الإسلام منها 89-82
  - **المطلب الأول:** التضييق البرجماتي لمفهوم الحقيقة 85-82
  - **المطلب الثاني:** الحقيقة البرجماتية بين الرفض و القبول 88-86

خاتمـــة 90-89

قائمة المصادر:

قائمة المصادر بالعربية:

1) جيمس، وليام، البرجماتية، ترجمة: محمد علي العريان، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، د(ط)، 1965

2) جيمس، وليام، بعض مشكلات الفلسفة، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، المؤسسة المصرية للتأليف و الترجمة و النشر، مصر، د(ط)، 1962

قائمة المصادر بالفرنسية:

3) William, james, le pragratisme, tr : le brun introduction h. bergson, p.u.f, Paris, flammarion, 1968

4) John, dewey, democratie et education, les presses des imprimeries delmars, 1983

قائمة المراجـع:

أولا: باللغة العربية:

5) أبوريان، محمد علي، الفلسفة و مباحثها مع ترجمة كتاب "المدخل إلى الميتافيزيقا"، دار المعرفة الجامعية للنشر، الإسكندرية، ط4، 2005

6) أمين، عثمان، نوابغ الفكر الغربي، العدد 8 شيلر، دار المعارف للطباعة و النشر، مصر، د(ط)، 1958

7) ابراهيم، مصطفى ابراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، ط1، 2000

8) اسماعيل، صلاح، نظرية المعرفة المعاصرة، الدار المصرية السعودية للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2005

9) آير ألفريد جوليس، الفلسفة في القرن العشرين، ترجمة: بهاء درويش، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006

10) البدري، فوزية، التربية بين الأصالة و المعاصرة، مفاهيمها، أهدافها، فلسفتها، دار الثقافة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009

11) بدوي، عبد الرحمن، الإنسانية و الوجودية في الفكر العربي، دار القلم للنشر، بيروت، لبنان، د(ط)، 1982

12) برهييه، إميل، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للنشر ، بيروت لبنان، ج7، ط1، 1987

13) بوشنسكي، إ.م، الفلسفة المعاصرة في أوربا، ترجمة: عزت قرني، دار المعرفة للنشر، الكويت، د(ط)، 1992

14) توماس، هنري، اعلام الفلسفة "كيف نفهمهم"، ترجمة: مترني أمين، دار النهضة العربية، القاهرة، د(ط)، 1964

15) الجابري محمد عابد، الحضارة المعاصرة من الضرورة إلى الصيرورة، دار الفرقد للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010

16) جديدي، محمد، فلسفة الخبرة (جون ديوي نموذجا)، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004

17) جود- س.ي، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، تعريب: محمد شفيق شيا، مؤسسة نوفل للنشر، بيروت،لبنان، ط1، 1981

18) حسن، محمد سليمان، دراسات في الفلسفة الأوربية، دار علاء الدين للنشر و التوزيع، دمشق، ط1، 1998

19) حماد، دعاء محمد عبد النظير، الأسس اللاعقلية في الفكر الفلسفي المعاصر، الحضري للطباعة، الإسكندرية، د(ط)، 2010

20) راندال، جون هرمان، بوخلر جوستاس، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة: ملحم قربان، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، القاهرة، د(ط)، 1963

21) رسل، برتراند، حكمه الغرب، (الجزء الثاني)، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، د(ط)، 1983

22) ديورانت، ول، قصة الفلسفة، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف للنشر، بيروت، ط6، د(ت)

23) الراوي، فؤاد محسن، الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي، دار المأمون للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008

24) زيدان، محمود فهمي، وليم جيمس، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2005

25) زيدان، محمود، نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام و فلاسفة العرب المعاصرين، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1989

26) الشنيطي، محمد فتحي، وليم جيمس، دار الحمامي للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 1975

27) شنيدر، هربرت، تاريخ الفلسفة الأمريكية، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د(ط)، 1964

28) شيخاني، محمد، التيارات الفكرية المعاصرة و الحملة على الإسلام، دار قتيبة للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سورية، ط1، 2008

29) الصايغ، نوال الصراف، المرجع في الفكر الفلسفي، نحو فلسفة توازن بين التفكير الميتافيزيقي و التفكير العلمي، دار الفر العربي للنشر، القاهرة، د(ط)، 1983
30) صبحي، أحمد محمود، صفاء، جعفر صفاء عبد السلام ، في فلسفة الحضارة (الإسلامية، اليونانية، الغربية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د(ط)، 2000
31) الطالبي، عمار، مدخل إلى عالم الفلسفة، دار القصبة للنشر و التوزيع، الجزائر، د(ط)، 2006
32) توفيق الطويل، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، ط5، 1967
33) عبد الحفيظ، محمد، الفلسفة و النزعة الإنسانية (الفكر البرجماتي نموذجا)، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006
34) متس، رودلف، الفلسفة الإنجليزية في مائة عام، ترجمة: فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر و التوزيع، الإسكندرية، مصر، ج2، ط1، 2009
35) عبد الله، عيسى، في نظرية المعرفة، دار الكتب الوطنية للنشر، القاهرة، مصر، د(ط)، 2011
36) عطا، ابراهيم محمد، بن ابراهيم حافظ عبد الله، فلسفة المناهج، مكتبة النهضة المصرية للنشر، القاهرة، د(ط)، 2005
37) عطيتو، حربي عباس، محمد عبيدان موزه ، مدخل إلى الفلسفة و مشكلاتها، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003
38) العوا، عادل، القيمة الأخلاقية، الشركة العربية للصحافة و الطباعة و النشر، د(ط)، 1965
39) غنيم، رشاد، السيد عمر نادية، الرامخ السيد محمد، النظرية المعاصرة في علم الإجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د(ط)، د(ت)
40) فام، يعقوب، البرجماتيزم أو مذهب الذرائع، دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1985
41) قطب، محمد، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق للطباعة و النشر، بيروت، ط8، 1993
42) قنصوة، صلاح، نظرية القيم في الفكر المعاصر، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984
43) القماطي، هنية مفتاح، نظرية القيمة عند كليفرس لويس، كلية الآداب، جامعة بن غازي للنشر، فاريونس، ط1، 2001
44) كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم للنشر، بيروت، لبنان، د(ط)، د(ت)
45) ماهر، اسماعيل الجعفري، حسين رحيم التكرتي، فلسفة التربية، مديرية دار الكتب للطباعة و النشر، بغداد، د(ط)، 1993
46) ميروك، أمل ، مشكلة الإنسان في الفكر المعاصر، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، د(ط)، 2004

47) مبروك، أمل ، مفهوم الحقيقة "دراسة فلسفية"، الدار المصرية السعودية للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، د(ط)، 2004

48) محمود، زكي نجيب، من زاوية فلسفية، دار الشروق، بيروت، ط4، 1993

49) عبد الرحمن، مرحبا، المسألة الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1961

50) المرهج، علي عبد الهادي، الفلسفة البرجماتية أصولها و مبادئها مع دراسة تحليلية في فلسفة مؤسسها تشارلز بيرس، دار الكتب العلمية للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط1، 2008

51) مهران محمد، محمد، مدين، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة و النشر، القاهرة، د(ط)، 2004

52) موريس، تشارلز، رواد الفلسفة البرجماتية، ترجمة: ابراهيم مصطفى ابراهيم، دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع، الإسكندرية، مصر، د(ط)، 2011

53) النشار، مصطفى، مدخل إلى الفلسفة النظرية و التطبيقية، دار قباء الحديثة للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، مصر، د(ط)، 2008

54) نيللر، ج، ت، في فلسفة التربية، ترجمة: محمد مرسي، عالم الكتب للنشر و التوزيع، القاهرة، د(ط)، 1972

55) هنترميد، الفلسفة أنواعها و مشكلاتها، ترجمة: فؤاد زكريا، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2007

56) اليماني عبد الكريم علي سعيد، فلسفة التربية، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004

ثانيا: باللغة بالفرنسية:

57) Brehier, Emile, histoire de la philosophie XXE siècle, idea, cérèes, édution, P.U.F, France, 1995

58) Deledalle, Gerard, la philosophie américaine, premeries dominique, gréniant, Paris, 1983

59) Jean, Greish, le buisson ardent et les lumières de la raison, l'invention de la philosophie de la religion, les editions cerf, Paris, tome: 2, 2002

60) Hutin, Serge, la philosophie anglaise et américaine, p.u.f, Paris, France, 2ème ed, 1963

61) H.W.Shneider, histoire de la philosophie américaine, tr : ci smoment, p.u.f, Paris, 2ème ed, 1955

قائمة الموسوعات و المعاجم:

-1- الموسوعات:

62) الفا، روني ايلي، موسوعة أعلام الفلسفة العرب و الأجانب، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1992

63) بدوي، عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ج2، ط1، 1984

64) الحاج كميل، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي و الإجتماعي، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2000

65) روزنتال ل.م، ب. يودين، الموسوعة الفلسفية (وضع لجنة من العلماء و الأكاديميين السوفياتيين)، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط2، 2006

66) الشرفا، اسماعيل، الموسوعة الفلسفية، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002

67) عباس، فيصل، موسوعة الفلاسفة، دار الفكر العربي للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1996

68) فايس، أكسل، أطلس الفلسفة، ترجمة: جورج كتورة، المكتبة الشرقية للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2007

69) لالاند، أندري، الموسوعة الفلسفية، معجم المصطلحات الفلسفية النقدية و التقنية، المجلد الثالث، تعريب: خليل أحمد خليل، دار عويدات للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، د(ط)، 2008

70) منصور، محمد، أحمد، موسوعة أعلام الفلسفة، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2001

-2- المعاجم:

71) الجراد، خلف، معجم الفلاسفة المختصر، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2007

72) حسيبة مصطفى، المعجم الفلسفي، دار اسامة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009

73) الحنفي عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، ط3، 2000

74) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية، و الإنجليزية و اللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د(ط)، 1982

75) طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة (الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهوتيون، المتصوفون)، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006

76) مدكور، ابراهيم، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، د(ط)، 1983

77) وهبه، مراد، المعجم الفلسفي، معجم المصطلحات الفلسفية، دار قباء الحديثة للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط5، 2007

78) جوليا، ديدله، قاموس الفلسفة، تعريب: فرانسوا أيوب، ايلي نجم، ميشال أبي فاضل، دار لاروس للنشر، بيروت، ط1، 1992

79) عثمان، سعيد محمد، القاموس الميسر في العلوم الإنسانية، عربي إنجليزي و بعض المقاييس و الإختبارات النفسية و أعلام الفلسفة، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، الإسكندرية، د(ط)، 2008

الأطروحات والمذكرات الجامعية:

أطروحـــة دكتـوراه:

80) صايم، عبد الحكيم، النزعة الإنسانية في الشخصانيات المعاصرة (رونيه حبشي، محمد عزيز الحبايب)، دكتوراه دولة في الفلسفة، إشراف: أ.د محمد عبد اللاوي، كلية العلوم الإجتماعية، قسم الفلسفة، وهران، 2006، 2007

المذكـــرات:

مذكرات ماجستيـر:

81) زروقي، تامر، الإعتقاد و الحقيقة عند وليم جيمس، ماجستير في الفلسفة، إشراف: أ.د البخاري حمانة، كلية العلوم الإجتماعية، (غ. منشورة)، وهران، الجزائر، 2010، 2011

82) معزي، وردة، النزعة الإنسانية في فلسفة وليم جيمس، إشراف: أ.د(ة) فريدة غيوة، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية، (غ. منشورة)، قسنطينة، فبراير 2009

ملخص

أرجعت الفلسفة البراجماتية أفكارها إلى الإنسان وواقعه ،و اهتمت بالجانب السيكولوجي له حيث تبين لهذا الفكر أثر في الأخلاق ولعل من أبرز مواضيعها موضوع الإنسانية والصدق وهذا ما حاولنا أن نفهمه في موضوعنا "مفهوم الإنسانية والصدق عند فرديناند شيلر ووليم جيمس"إذ كيف تصور شيلر وجيمس الإنسانية والصدق ؟-إقترح شيلر على جيمس فكرة الإنسانية وأسسها في أفكاره ،ورأى أن كل النظريات لا تكون صائبة إلا إذا كانت لها قيم إنسانية أما جيمس فلقد ربط المنفعة بالإنسانية وأكد على فكرة المنفعة ،و إتفق شيلر وجيمس على أن للإرادة الإنسانية والعقل الإنساني دور في إحياء الصدق والنجاح ولكن أي صدق يقصد شيلر وجيمس؟رأى جيمس وشيلر أن الحقيقة نسبية ومتغيرة والفكرة عند جيمس صحيحة إذا كانت تعمل وأثر إيجابي ،وهنا اختلف شيلر عن جيمس إذ يرى أنه لا يمكن أن نضع الحقيقة والمنفعة على قدم المساواة ،وكأن الحقيقة عند شيلر هي حقيقة إنسانية أولا و حقيقة عمل نافع ثانيا،كما أن التأكيد على معيار النفع مغالاة و لا يتقبلها ديننا الإسلامي فهو يرى أن الحقيقة ثابتة مطلقة لا تتغير.

الكلمات المفتاحية:

البراجماتية؛ الأخلاق؛ الإنسانية؛ الصدق؛ الحقيقة؛ المنفعة؛ سيكولوجية؛ التجريبية؛ النسبية؛ القيمة.

نوقشت يوم 08 مارس 2015